نواقض كلمة التوحيد

لفضيلة الدكتور عواد بن عبدالله المعتق

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فنظراً لأني تناولت في بحث سابق شروط لا إله إلا الله لذا رأيت من باب إتمام الفائدة تناول شيء من نواقضها في هذا البحث، إضافة إلى ذلك أهمية بيانها في حياة المسلم؛ إذ أن ذلك من أسباب وقايتها.

خطة البحث ستكون إن شاء الله كما يلي:

المقدمة: في بيان أهمية البحث والدافع لاختياره وخطته.

التمهيد: في تعريف النواقض وأنواعها وما يترتب عليها .

المبحث الأول: «الشرك الأكبر»، تعريفه ـ حكمه وأنواعه.

الأول: الشرك في الربوبية.

الثاني: الشرك في الألوهية .

الثالث: الشرك في الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: الكفر الأكبر، تعريفه ـ حكمه وأنواعه.

المبحث الثالث: النفاق الأكبر.

تعريفه .

أنواعه.

حكمه.

الأدلة .

الخاتمة: في ذكر بعض النتائج التي توصلت إليها.

وأخيراً أسأله تعالى أن يتقبل صوابه ويتجاوز عن خطئه إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد :في تعريف النواقض وأنواعها وما يترتب عليها.

أ) **تعريفها**: **لغة**: جمع ناقض اسم فاعل من نقض ينقض نقضاً.

والنقض: هو إفساد ما أبرم من حبل أو بناء أو عهد أو غيره.

يقال نقض البناء إذا هدمه،ونقض اليمين أو العهد إذا نكثه،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿... وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية[1].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ الآية [2].

وانتقض الشيء: فسد بعد إحكامه. يقال انتقض الوضوء: بطل.

(١) سورة النحل، الآية: (٩١).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٧).

وانتقض الجرح بعد برئه والأمر بعد التئامه فسد[1]. وعلى هذا فالنواقض لغة: كل ما يفسد الشيء ويبطله.

والمراد بالنواقض هنا: هي: اعتقادات أو أقوال أو أعمال تناقض حقيقة التوحيد وتوجب الخروج من الملة[2].

ب) **أنواعها**: كثيرة[3]. تجتمع في أمر واحد، وهو ما يخرج من الملة، وبما أنه لا يخرج من الملة إلا الشرك الأكبر أو الكفر الأكبر أو النفاق الأكبر، لذا فهي لا تخرج عن هذه الثلاثة.

ولذا رتبت ما تيسر منها في ثلاثة مباحث،كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

ج) **ما يترتب عليها**: إن وقع المسلم في شيء منها قصداً[4].من

---

(١) انظر: لسان العرب ج٣ ص٧٠٥. والمصباح المنير ص٣٨ والقاموس الفقهي ص٣٥٩ وتفسير الشوكاني ج١ ص٥٨ والكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية) ج٤ ص٨٥٣.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ومقالات لابن باز ج٨ ص١٣.

(٣) انظر: الدرر السنية ج٢ص١٧٦، ج٨ ص٨٦.

(٤) أي: عمداً قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥]. يقول ابن كثير في تفسير الآية: «... فإن الله تعالى قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه؛ كما أرشد إليه في قوله تعالى آمراً عباده أن يقولوا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦]. وثبت

غير جهل[١]، أو إكراه[٢]. أو تأويل[٣] يعذر فيه صاحبه انتقضت لديه

في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: قد فعلت...» تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٤٦٧. وانظر: صحيح مسلم (بشرح النووي) ج٢، ص١٤٦ وفتح الباري ج١١ ص٥٥١ ومجموعة الفتاوى، ج٣، ص٣١٧،٢٣١-٣١٨، ج١٢ ص٤٩٢،١٨٠، ج٢٣، ص٣٤٦.

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: الآية: ١٥]. يقول الشوكاني: «... فبين سبحانه أنه لم يتركهم سدى، ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم» فتح القدير،ج٣، ص٢١٤. وقال ابن تيمية: «... ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم... وكان حديث العهد بالإسلام فأنكر شيئاً من الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول» مجموع الفتاوى، ج١١، ٤٠٧. وقال ابن القيم ـ وهو يتكلم عن حكم من جحد فرضا... أو تحريم محرم «... وأما جحد ذلك جهلاً... فلا يكفر صاحبه به كحديث الذي جحد قدرة الله عليه... ومع هذا فقد غفر الله له... لجهله». مدارج السالكين، ج١، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(٢) قال تعالى: ﴿... إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ...﴾ [سورة النحل، الآية: ١٠٦]. يقول القرطبي في تفسير الآية: «أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر... إنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان... ولا يحكم عليه بالكفر...» تفسير القرطبي،ج٣،ص١١٦٢. وانظر:تفسير ابن كثير،ج٢، ص٥٨٧ وفتح الباري ج١٢ ص ٣١٤.

(٣) قال ابن حجر: «قال العلماء كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب وكان له وجه في العلم» فتح الباري، ج١٢، ص٣٠٤. وانظر: مجموع الفتاوى ج٢٠ ص ٢٦٣، وقال ابن الوزير: «قوله تعالى:

شهادة التوحيد وأصبح مرتداً.

وإن كانت موجودة مع العبد ابتداءً ثم أظهر الإسلام ـ وهي معه ـ لم ينتفع من نطقه بالشهادتين[1]؛ إذ لا يتحقق الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح ما دام معه شيء منها.

المبحث الأول: الشرك الأكبر:

تعريفه:

في اللغة: لمادة الشرك أصلان مرجعهما إلى الخلط والضم. أحدهما الشِرْك أو الشِرْكة بإسكان الراء وهو الأغلب في الاستعمال يكون مصدراً واسماً ويطلق على معان منها:

١- **المخالطة**: قال الراغب: «الشرك والشركة والمشاركة: خلط الملكين، وقيل هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً عيناً كان

﴿... وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ...﴾[سورة النحل، الآية: ١٠٦]. يؤيد أن المتأولين غير كفار؛ لأن صدروهم لم تنشرح بالكفر قطعاً أو ظناً أو تجويزاً أو احتمالاً». إيثار الحق على الخلق ص٤٣٧. وانظر: نواقض الإيمان القولية، ص٧٧ ـ ٧٨.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج٧ ص٦١٩، ج٢٠ ص٢٦٣، ج٢٣ ص٣٤٦، والاستقامة له ج١ ص١٦٤-١٦٥، وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص١٩٢، وإيثار الحق على الخلق، ص٤٣٥-٤٣٧. ومجموع فتاوى ومقالات لابن باز ج٨ ص١٥، ١٣، وكشف الشبهات (مجموع التوحيد) ص ١٠٤.

ذلك الشيء أو معنى)[١]. وعبارة الراغب الثانية أعم[٢].

٢- ويطلق على النصيب كما في الحديث «من أعتق شركاً له في عبد... الحديث»[٣] أي نصيباً[٤].

٣- ويطلق أيضاً على التسوية. قال ابن منظور (طريق مشترك يستوي فيه الناس واسم مشترك يشترك فيه معان كثيرة)[٥].

كما يطلق على الكفر قال الجوهري (والشرك الكفر).

وأما الأصل الثاني فهو الشرَك ويطلق على معان منها:

١. الشراك: وهو سير النعل يقال أشركت نعلي وشركتها تشريكاً إذا جعلت لها الشراك.

٢. الشَرَك: بفتحتين وهي حبالة الصائد.

٣. الشرَكة: وهي معظم الطريق ووسطه والجمع شرك بفتحتين[٦].

---

(١) المفردات للراغب ص ٣٨٠.

(٢) انظر: المصباح المنير ص١١٨.ورسالة الشرك ومظاهره، ص٦١.

(٣) رواه البخاري في العتق باب ٤ برقم ٢٥٢٢ ومسلم في كتاب العتق. انظر: صحيح مسلم (بشرح النووي) ج١٠ ص١٣٥.

(٤) انظر: لسان العرب ج٢ ص٣٠٦ والمصباح المنير ص١١٨.

(٥) لسان العرب ج٢ ص٣٠٦.

(٦) انظر: لسان العرب ج٢ ص٣٠٦ ـ ٣٠٧ والمصباح المنير ص١١٨ ومعجم مقاييس اللغة ج٣ ص٢٦٥.

الشرك في الشرع:

عرف بتعاريف كثيرة[١] اخترت منها هذا التعريف وهو: كل ما ناقض التوحيد أو قدح فيه مما ورد في الكتاب أو السنة تسميته شركاً[٢]. وهو قسمان:أكبر وأصغر.الشرك الأكبر ـ وهو المراد هنا ـ هو أن يُجعل لله ندٌ في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته[٣].

حكمه:

مخرج من الملة، محبط لجميع الأعمال، لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وصاحبه إن مات ولم يتب مخلد في النار قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[٦].

---

(١) انظر: الاستقامة لابن تيمية ج١ ص٣٤٤ ومجموع الفتاوى له ج١٣ ص١٩ وتفسير ابن سعدي ج٢ ص٢٣١، والتعريفات الاعتقادية، ص٢٠٣.

(٢) عقيدة المؤمن ص١٠٥.

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ج١ ص٥١٦-٥١٧ ومعارج القبول ج٢ ص٤٨٣.

(٤) سورة الزمر، الآية: (٦٥).

(٥) سورة النساء، الآية: (٤٨).

(٦) سورة الأنفال، الآية: (٣٨).

وقال تعالى: ﴿... وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ...﴾[1].

تحرم مناكحة مرتكبه لقوله تعالى: ﴿... وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ...﴾[2]. كما تحرم ذبيحته لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ...﴾[3].

ويستثنى أهل الكتاب فحرائر نسائهم العفيفات غير المحاربات وذبائحهم حلال لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ...﴾[4][5].

كما أن هذا المشرك لا يرث ولا يورث بل ماله لبيت المال، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين؛ ذلك أنه قد ارتكب

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٧٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٢١).

(٣) سورة الأنعام، الآية: (١٢١).

(٤) سورة المائدة، الآية: (٥).

(٥) انظر: المغني ج٩ ص٥٤٥ وفتح القدير ج٢ ص١٥. وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٥٥٤ ـ ٥٥٥.

أعظم جريمة وأفظع ظلم قال تعالى: ﴿... وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ...﴾[1]. وقال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2][3].

وبذلك يكون الشرك الأكبر من نواقض قول لا إله إلا الله.

أنواعه: الأول: الشرك في الربوبية:

وهو: اعتقاد شريك لله في الفعل[4]. ومن ذلك ما يلي:

١- شرك من جعل مع الله رباً آخر. كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة، وشرك كثير ممن يشرك بالكواكب ويجعلها أرباباً مدبرة كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٤٨).

(٢) سورة لقمان، الآية: (١٣).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ج١ ص٥٠٨، ٥١١ وطبقات الحنابلة، ج١ ص ٣٤٣. ومجموع الفتاوى، ج١، ص٨٨، ٩١، ج١٠، ص١٩٩، ج١١، ص٦٦٣، ج١٨، ص١٦١. والجواب الكافي، ص١٢٨ ومدارج السالكين ج١ ص٣٣٩ وفتاوى اللجنة الدائمة ج١ ص٥١٧، ٥١٩ ـ ٥٢٠ ومعارج القبول ج٢ ص ٤٧٥ ـ٤٧٧. وتفسير ابن سعدي ج ٢ ص ٣٨-٣٩ .

(٤) تفسير القرطبي ج٥ ص١٨١.

٢- شرك من قال إن موجوداً ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده وإن لم يعتقد كونه إلهاً كالقدرية القائلين بأن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله بنفسه وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته[(١)].

٣- شرك غلاة الصوفية القائلين بأن في الكون أقطاباً وأبدالاً من الأولياء والصالحين لهم قدر من التصرف معين في حياة الناس فهم يعطون ويمنعون ويضرون وينفعون. ومن هنا تعلقت قلوب كثير من الناس بالصالحين واستغيث بهم ودعوا عند الشدائد[(٢)].

٤- شرك من جعل لله نداً في التشريع بأن يتخذ مشرعاً له سوى الله أو شريكاً لله في التشريع يرتضي حكمه ويدين به في التحليل والتحريم[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ج٥ ص١٨١ ودرء تعارض العقل والنقل ج٧ ص٣٩٠ والجواب الكافي ص١٣٠-١٣١ والعقيدة في الله ص٢٣٧.

(٢) عقيدة المؤمن ص ٩٥ وانظر:مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١ ص٩٢.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ج١ ص٥١٦ وانظر: مجموع الفتاوى ج٧ ص٦٧ وتفسير ابن كثير ج٣ ص٨٠ وتفسير ابن سعدي ج٥ ص١٥ وتفسير المنار، ج٣ ص٣٢٦ وأضواء البيان ج٤ ص٨٢ ـ ٨٣.

قال تعالى: ﴿... أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ...﴾[١]. يقول ابن سعدي ـ في تفسير هذه الآية ـ «أي له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات ... والأمر المتضمن للشرائع والنبوات فالخلق يتضمن أحكامه الكونية القدرية والأمر يتضمن أحكامه الدينية الشرعية ...»[٢].

وقال محمد رشيد رضا ـ وهو يتكلم عن أنواع الشرك ـ «... وثانيهما: يتعلق بالربوبية: وهو إسناد الخلق والتدبير إلى غيره، معه أو أن تؤخذ أحكام الدين في عبادة الله تعالى والتحليل والتحريم عن غيره أي غير كتابه ووحيه الذي بلغه عنه رسله...»[٣].

الثاني: الشرك في الأسماء والصفات:

وهو: أن يُجعل لله ندٌ في أسمائه وصفاته[٤]. ومن ذلك ما يلي:

١- التشبه بالله أو تشبيه المخلوق به في الاسم الذي لا ينبغي إلا لله وحده[٥].

ومن ذلك اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) تفسير ابن سعدي ج٣ ص١٩ ـ ٢٠.

(٣) تفسير المنار ج٢ ص٥٥.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة ج١ ص٥١٦.

(٥) الجواب الكافي ص١٣٦، ١٣٨.

كاللات من الله والعزى من العزيز[١]. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ...﴾[٢]. قال قتادة: «يلحدون: يشركون في أسمائه»[٣] ومثله قال الطبري[٤].

٢- التشبه بالله أو تشبيه المخلوق به في صفة من صفاته تعالى كقول من قال أنا أعلم الغيب أو شيئاً منه كعلم الله أو فلان يعلم الغيب أو شيئاً منه كعلم الله. ومن ذلك:

أ ـ اعتقاد بعض المبتدعة أن بعض الأموات أو الغائبين من الأولياء يسمعون من دعاهم على البعد والقرب في أي وقت كان وفي أي مكان.

ب ـ دعوى علم الغيب أو اعتقاد أن أحداً غير الله يعلمه كاعتقاد أن الأنبياء أو الأولياء يعلمون الغيب، وكدعوى علم الغيب من الكاهن أو المنجم أو الساحر أو اعتقاد ذلك فيهم[٥].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٦٩. وتفسير الطبري ج٩ ص٩١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٨٠).

(٣) تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٦٩.

(٤) تفسير الطبري ج٩ ص٩١ وانظر تيسير العزيز الحميد ص٢٨.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٧٢ ونيل الأوطار ج٧ ص٣٦٨ ومعارج القبول ج٢ ص٤٧٥ والقول السديد ص٩٥، ٩٧، ٩٩ ومجمع الزوائد ج٥ ص١٢١ =

الثالث: الشرك في الألوهية:

هو: أن يُجعل لله شريك في العبادة أو في نوع منها بالاعتقاد أو القول أو العمل[١]. ومن ذلك ما يلي:

١) **شرك الدعاء:**

يقول ابن تيمية: «لفظ الدعاء أو الدعوة في القرآن يتناول معنيين، دعاء العبادة ودعاء المسألة»[٢]. ويقول ابن رجب: «فتارة يكون الدعاء بالسؤال من الله عز وجل والابتهال إليه كقول الداعي اللهم اغفر لي.. وتارة يكون بالإتيان بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب وهو الاشتغال بطاعة الله وذكره وما يجب من عبده أن يفعله...»[٣]. من كلام ابن تيمية وابن رجب اتضح أن الدعاء قسمان: دعاء عبادة ودعاء مسألة. وعليه فالشرك في الدعاء يكون في دعاء العبادة ويكون في دعاء المسألة.

= وهذا هي الصوفية ص١٢٦ والإيمان محمد نعيم ص١٧٥. ونواقض الإيمان القولية ص٥٢٠.

(١) انظر: مجموع الفتاوى ج١ ص٧٤، ٩١ والإرشاد لابن سعدي ص٢٠٥.

(٢) مجموع الفتاوى ج١٠ ص٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٣) فتح الباري لابن رجب ج١، ص ٢٠.

أ) الشرك في دعاء العبادة:

المراد بدعاء العبادة: هو عبادة الله بأنواع العبادات كالصلاة والصيام والذبح والنذر وغيرها مما شرعه الله لعباده وأمرهم به لنيل الثواب والسلامة من العقاب.

وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب. وسمي دعاءً؛ لأنه سائل لما يطلبه بامتثال الأمر. فهو سؤال بلسان الحال.[١] والمراد بالشرك في دعاء العبادة: هو صرف شيء من العبادات لغير الله، كالسجود لغير الله، والتقرب بالذبائح والنذور لغيره سبحانه، وكذا من خاف أحداً كما يخاف الله أو رجاه كما يرجو الله ونحو ذلك[٢].

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ...﴾[٣].

يقول القرطبي: «الآية أصل في خلوص الأعمال لله تعالى...»[٤].

وقال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[٥].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ج١٠ ص٢٤٠، وتيسير العزيز الحميد ص١٩٢، والقواعد الحسان لابن سعدي ص٩١.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ج١ ص٩١-٩٢ والجواب الكافي ص١٣٣. ورسالة التوحيد للدهلوي ص٢٠، ٥٣ والإرشاد لابن سعدي ص٢٠٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٤) تفسير القرطبي ج٥ ص١٨٠.

(٥) سورة غافر، الآية: ١٤.

يقول ابن تيمية: «وقوله تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ...﴾ هو دعاء العبادة والمعنى اعبدوه وحده وأخلصوا عبادته لا تعبدوا معه غيره»[١].

ب) الشرك في دعاء المسألة:

دعاء المسألة: هو طلب جلب منفعة أو دفع مضرة بصيغة السؤال والطلب[٢]. والمراد هنا: هو ما يصدر من العبد من توجه بالقلب واللسان طالباً خيراً أو دفع ضر لا يقدر عليه إلا الله[٣]. الواجب أن يكون لله وحده لا شريك له؛ إذ هو المالك للنفع والضر[٤].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ...﴾[٥].

وبما أنه ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن دعاء الله عبادة له فيكون صرفه لغير الله شركاً[٦]. فإذا توجه الداعي إلى غير الله فإما أن

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١٥ ص١٣.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١٠ ص٢٤٠.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد ص١٨٠، ورسالة الشرك ومظاهره ص١٨٦ وتصحيح الدعاء ص٢٣٧.

(٤) انظر: بدائع الفوائد ج٣ ص٢ ورسالة التوحيد للدهلوي ص٥٥ وتفسير ابن سعدي ج٣ ص١٨٦.

(٥) سورة يونس، الآية: (١٠٦).

(٦) انظر: الرد على البكري لابن تيمية ص٩٦ وجامع الأصول ج٩ ص٥١١ وتيسير

يكون حياً أو ميتاً. إن كان ميتاً: فهو شرك على إطلاقه كمن يتوجه إلى صاحب قبر، وإن كان حياً وليس في مقدور العبد فهو شرك[١].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]

يقول ابن جرير: «... فإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. يقول من المشركين بالله الظالم لنفسه»[٤].

العزيز الحميد ص١٩٤ والقواعد الحسان ص٩٢. والدرر السنية ج٩ ص ٤١٨.

(١) أما إن كان في مقدور العبد فليس بشرك ، انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١، ص٣٢٩، ج٢٧ ص٦٧ ـ ٦٨، ٧٢ ومدارج السالكين ج١ ص٣٤٦ ورسالة التوحيد للدهلوي، ص٣٦ والقواعد الحسان ص٩٢ ورسالة الشرك ومظاهره ص١٨٦ ومعارج القبول ج٢ ص٤٧٥.

(٢) سورة فاطر، الآيتان: (١٣ ـ ١٤).

(٣) سورة يونس، الآية: (١٠٦).

(٤) تفسير ابن جرير ج١١ ص١٢٢، وانظر تفسير ابن سعدي ج٤ ص١٨٦، وروح المعاني ج١١ ص١٩٩.

والاستعاذة والاستغاثة من نوع الدعاء كما قال شيخ الإسلام[١].

وعليه فمن استعاذ أو استغاث بميت أو غائب أو بحي فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك[٢]. وكذلك من اتخذ وسائط[٣] بينه وبين الله يدعوهم مع الله أو من دون الله لجلب نفع أو دفع ضر. مثل ما يمارس الآن حول الأضرحة المبنية على القبور فإن هذا من أعظم الشرك الذي كفّر الله به المشركين[٤].

قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٥].

٢) شرك الطاعة:

وهو طاعة غير الله في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله

---

(١) مجموع الفتاوى ج١٥ ص٢٢٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ج١ ص٣٥٩ ج١١ ص٦٦٤ ج٢٧ ص٨١ ومدارج السالكين ج١ ص٣٤٦ وشفاء الصدور ص٢٣١ وفتاوى اللجنة الدائمة ج١ ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧. ونواقض الإيمان القولية ص١٤٢.

(٣) من الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء أو غيرهم.

(٤) كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية انظر: مجموع الفتاوى له ج١ ص١٢٣، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٥. ودرء تعارض العقل والنقل ج١ ص٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٥) سورة يونس، الآية: (١٨).

عن رضى واطمئنان قلب مع العلم بأن ذلك الغير مخالف لما شرعه الله. فيعتقد تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله اتباعاً له[1].

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾الآية[2].

يقول الطبري[3] في تفسير هذه الآية: «عن عدي بن حاتم قال أتيت رسول الله ﷺ... وانتهيت إليه وهو يقرأ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: قلت يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم فقال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال قلت بلى. قال فتلك عبادتهم»»[4].

وقال ابن تيمية بعد أن ذكر هذه الآية: «وكان من إشراكهم بهم:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ج٧ ص٧٠، وأضواء البيان ج٤ ص٨٣ ـ ٨٤، ومجموعة التوحيد ص ٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: (٣١).

(٣) جامع البيان ج١٠ ص٨٠ ـ ٨١.

(٤) رواه الترمذي في التفسير باب ومن سورة براءة وأورده القرطبي في تفسيره ج٨ ص١٢٠ والسيوطي في الدر المنثور ج٣ ص٢٣٠ وقال أخرجه ابن سعد وعبد ابن حميد والترمذي وحسنه.. عن عدي بن حاتم ثم ذكر الحديث.وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله باب فساد التقليد ج٢ ص١٠٩ وابن الأثير في جامع الأصول برقم ٦٥١.

أنهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم»[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[٢].

يقول ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك...»[٣].

وقال الشنقيطي ـ بعد أن ذكر الآية ـ «فصرح بأنهم مشركون بطاعتهم»[٤].

٣) شرك المحبة:

وهو محبة المخلوق لغير الله كما يحب الله، وذلك بأن يحب غير الله محبة العبودية المقرونة بالرجاء والخوف والمستلزمة لكمال الذل والطاعة للمحبوب.كمحبة المشركين لآلهتهم. وهو الشرك الذي قال الله فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ج٢ ص٣٧٦ وانظر: أضواء البيان ج٤ ص٨٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: (١٢١).

(٣) تفسير ابن كثير ج٢ ص١٧١.

(٤) أضواء البيان ج٤ ص٨٣.

كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ...﴾[1] [2].

يقول ابن القيم: «أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً...»[3] وعليه فمن أحب مخلوقاً كما يحب الخالق فهو مشرك به [4].

المبحث الثاني: الكفر الأكبر:

تعريفه :

أصل الكفر في اللغة: الستر والتغطية. يقال لمن غطى درعه بثوب قد كفر درعه. ويقال للفلاح كافر؛ لأنه يكفر البذر: أي يستره.قال تعالى: ﴿... كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ...﴾[5]. وسمي نقيض الإيمان كفراً؛ لأنه تغطية الحق.

كما يأتي ويراد به الجحود.يقال كفر نعمة الله وبها كفوراً وكفراناً جحدها قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[6]. وكفر

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٦٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ج١ ص ٩١ ـ٩٢. والجواب الكافي ص ١٣٢. والإرشاد للفوزان ص٦٠ ـ ٦١.

(٣) التفسير القيم ص١٤٠.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ج١٠ ص٢٦٥، ٢٦٧.

(٥) سورة الحديد، الآية: (٢٠).

(٦) سورة البقرة، الآية: (١٥٢).

الحق: جحده، ومنه قوله تعالى: ﴿... فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ...﴾[1].

ويأتي ويراد به البراءة، كقوله تعالى حكاية عن الشيطان في خطبته إذا دخل النار ﴿... إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ...﴾[2] أي تبرأت[3].

الكفر في الاصطلاح: هو كل ما يناقض الإيمان أو ينقص كماله الواجب، مما ورد في الكتاب أو السنة تسميته كفراً[4]. وهو نوعان: أكبر وأصغر.

الكفر الأكبر ـ هو المراد هنا ـ[5]. هو: كل ما ينافي الشهادتين

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٨٩).

(٢) سورة إبراهيم، الآية: (٢٢).

(٣) انظر: لسان العرب ج٣ ص٢٧٣ والمصباح المنير ص٢٠٤ ومعجم مقاييس اللغة ج٥ ص١٩١ والقاموس الفقهي ص٣٢٠-٣٢١. والإحكام لابن حزم ج١ ص٤٩.

(٤) انظر: النهاية لابن الأثير ج٤ ص١٨٦ وعقيدة التوحيد للفوزان ص١٠١ ـ ١٠٢ والتعريفات الاعتقادية ص٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٥) عرف بتعاريف كثيرة استنبطت منها هذا التعريف. انظر درء تعارض العقل والنقل ج١ ص٢٤٢ ومجموع الفتاوى ج١٢ ص٣٣٥، ج٢٠ ص٨٦ ومدارج السالكين ج١ص٣٣٥ والإرشاد إلى معرفة الأحكام ص٢٠٣ ـ ٢٠٤ والتعريفات الاعتقادية ٢٧٢ ـ ٢٧٥.

أو إحداهما من اعتقاد أو قول أو عمل ويوجب لصاحبه الخروج من الملة والخلود في النار.

حكمه: مخرج من الملة من مات عليه خلد في النار[١]. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[٢].

لذا كان الكفر الأكبر من نواقض قول لا إله إلا الله.

أنواعه: ومنها ما يلي:

الأول: كفر التكذيب:

تعريفه: التكذيب في اللغة الإنكار يقال كذّب بالأمر أنكره، والنسبة إلى الكذب، يقال كذّب فلاناً: نسبه إلى الكذب[٣]. والمراد بكفر التكذيب: هو الإنكار بالقلب واللسان لأصل من أصول الدين أو حكم أو خبر ثابت مما هو معلوم من الدين بالضرورة بعد المعرفة[٤].

---

(١) انظر: تفسير الخازن ج١ ص٣١ ــ ٣٢ والتبصير في معالم الدين ص١٦٢ والإحكام لابن حزم ج١ ص٤٩ ومجموعة التوحيد ص٩.

(٢) سورة البينة، الآية: (٦)، وانظر: تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٣٨.

(٣) انظر: لسان العرب ج٣ ص٢٧٤ والمصباح المنير ص٢٠١ والقاموس المحيط ج ١ ص ١٢٣.

(٤) انظر الإحكام لابن حزم ج١ص٤٩ وبغية المرتاد ص٣١١. ومجموع الفتاوى ج ١١ ص٤٠٧، ج٢٢ ص٤١.

يقول ابن القيم: «فأما كفر التكذيب فهو اعتقاد كذب الرسل..»[١].

وقال ابن تيمية: «وإنما الكفر يكون بتكذيب الر سول ﷺ فيما أخبر به...»[٢]

وقال أيضاً: «والتكذيب: أخص من الكفر فكل مكذّب لما جاءت به الرسل فهو كافر وليس كل كافر مكذباً»[٣].

وقال القاضي عياض: «وكذلك نقطع بتكفير كل من كذّب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقيناً بالنقل المتواتر من فعل الرسول ﷺ ووقع الإجماع المتصل عليه... كمن أنكر وجوب الصلوات الخمس...»[٤].

أمثلته:

١- التكذيب بأصول الدين أو بشيء منها كالتكذيب بربوبية الله أو ألوهيته وحده أو بكتاب الله أو بشيء منه أو بنبوة محمد ﷺ أو فيما أخبر به أو بالبعث بعد الموت أو بقضاء الله

(١) مدارج السالكين ج١ ص٣٣٧.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ج١ ص٢٤٢.

(٣) مجموع الفتاوى ج٢ ص٧٩.

(٤) الشفا ج٢ ص٦١٢ .

وقدره ونحو ذلك.

٢- التكذيب بحكم ثابت مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالتكذيب بوجوب واجب من واجبات الإسلام الظاهرة كالصلاة أو التكذيب بتحريم محرم من محرماته الظاهرة كالزنى[١].

٣- التكذيب بخبر ثابت أخبر الله به كالتكذيب بعذاب القبر[٢].

الأدلة: كثيرة منها ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٣].

في هذه الآية توعد سبحانه من كفر به وكذب بآياته بالخلود في النار[٤] مما يدل على أن التكذيب بآيات الله كفر.

٢- وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ

---

(١) ومن ذلك اعتقاد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ وأنه يسعه الخروج عن شريعته.

(٢) انظر: الشفا ج٢ ص٦١٢-٦١٣. ودرء تعارض العقل والنقل ج١ ص٢٤٢ ومجموع الفتاوى ج٢٢ ص٤٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: (٣٩).

(٤) انظر: تفسير ابن سعدي ج١ ص٣٥ وأيسر التفاسير ج١ ص٤٠.

عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[١].

في الآية وعيد بالعذاب المهين لمن كذب بآيات الله ولم يجئ إعداد العذاب المهين في القرآن إلا في حق الكفار كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢].

٣- وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾[٣].

في الآية إخبار بأنه لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً[٤] أو كذب بالحق لما جاءه على يد محمد ﷺ وتقرير لثوائهم في جهنم؛ لأن همزة الإنكار إذا دخلت على النفي صار إيجاباً[٥]. يقول ابن سعدي: «وتكون منزلهم الدائم الذي لا يخرجون منه»[٦] ولا يكون كذلك إلا كافرٌ كفراً أكبر.

---

(١) سورة الحج، الآية: (٥٧).

(٢) انظر: الصارم المسلول ص٥٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: (٦٨).

(٤) بتحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم واتخاذ شركاء له سبحانه، انظر أيسر التفاسير ج٣ ص٤٦٩.

(٥) انظر تفسير القرطبي ج١٣ ص٣٦٤، وتفسير النسفي ج٢ ص٦٩٨، وتفسير البغوي ج٣ ص٢٠٠.

(٦) تفسير ابن سعدي ج٦ ص٥٤.

٤- إجماع العلماء على كفر من كذب بأمر معلوم من الدين بالضرورة. وقد حكى هذا الإجماع جمع من العلماء.

يقول ابن بطة: «... فلو أن رجلاً آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئاً واحداً كان برده ذلك الشيء كافراً عند جميع العلماء»[١].

وقال أبو يعلى: «ومن اعتقد تحليل ما حرم الله بالنص الصريح من الله أو من رسوله أو أجمع المسلمون على تحريمه فهو كافر... وكذلك من اعتقد تحريم شيء حلله الله وأباحه بالنص الصريح أو أباحه رسوله... مع العلم بذلك فهو كافر... والوجه فيه أن في ذلك تكذيباً لله تعالى ولرسوله في خبره...ومن فعل ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين»[٢].

وقال ابن تيمية: «الكفر عدم الإيمان باتفاق المسلمين سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم»[٣].

وقال ابن الوزير: «واعلم أن أصل الكفر هو التكذيب المتعمد لشيء من كتب الله تعالى المعلومة أو لأحد من رسله عليهم السلام أو لشيء مما جاؤوا به إذا كان ذلك الأمر المكذب به معلوماً

---

(١) الإبانة لابن بطة ص٢١١.

(٢) المعتمد في أصول الدين ص٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٣) مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٨٦.

بالضرورة من الدين ولا خلاف أن هذا القدر كفر...»[١]

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «... لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام»[٢].

الثاني: كفر الجحود:

تعريفه:

لغة: الإنكار - قد يكون الإنكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتاً - يقال جحد الأمر أنكره مع علمه به ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...﴾[٣].

وجحد فلان حقه: لم يقر به[٤].

والمراد بكفر الجحود: هو الإنكار باللسان مع المعرفة بالقلب لأصل من أصول الدين أو حكم أو خبر ثابت مما هو معلوم من الدين بالضرورة قصداً من غير جهل أو إكراه أو تأويل يعذر فيه صاحبه[٥].

---

(١) إيثار الحق على الخلق ص٤١٥.

(٢) مجموعة التوحيد ص١٠٤.

(٣) سورة النمل، الآية: (١٤).

(٤) انظر: لسان العرب ج١ ص٤٠٣، والمصباح المنير ص٣٥، وتفسير النسفي ج٢ ص٥٩٩.

(٥) انظر: تفسير البغوي ج١ ص٣١ ومجموع الفتاوى ج١١ ص٤٠٥ - ٤٠٧، ج٢٠ =

يقول الخازن: ((وكفر جحود وهو أن يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس))[1].

وقال النووي: ((إن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه فيعرف ذلك فإن استمر حكم بكفره))[2].

وقال ابن القيم: ((وأما جحد ذلك جهلاً أو تأويلاً يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح ومع هذا فقد غفر الله له ورحمه لجهله))[3].

أنواعه:

وهو نوعان: كما قال ابن القيم[4]:

الأول: كفر مطلق عام: وهو أن يجحد جملة ما أنزله الله،

= ص٢٥٠ ومدارج السالكين ج١ ص٣٣٨ وفتح الباري ج١٢ ص٣٠٤ والمغني ج٨ ص١٣١ والإبانة لابن بطة ج٢ ص٧٦٤ وطبقات الحنابلة ج١ ص٣٤٤ وجامع العلوم والحكم ج١ ص٣١٨.

(١) تفسير الخازن ج١ ص٣١.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ج١ ص١٢٨.

(٣) مدارج السالكين ج١ ص٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(٤) مدارج السالكين ج١ ص٣٣٨ (بتصرف).

وإرساله الرسول.

والثاني: كفر مقيد خاص وهو أن يجحد شيئاً من أصول الدين كمن يجحد ربوبية الله أو وحدانيته أو صفة من صفاته أو يجحد البعث أو القضاء والقدر ونحو ذلك، أو شيئاً من أحكام الإسلام الظاهرة المتواترة،كمن يجحد وجوب الصلاة أو الصيام ونحوهما. أو يجحد تحريم محرم كالفواحش أو الخمر ونحوهما، أو شيئاً مما أخبر الله به من الأخبار الثابتة الظاهرة كمن ينكر عذاب القبر أو وجود الجن ونحوهما[١].

الأدلة: كثيرة منها ما يلي:

١- أن في هذا الإنكار جحداً لآيات الله وقد حكم سبحانه بالكفر على من جحد آياته[٢]

قال تعالى: ﴿... وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾[٣]. ولذا توعدهم بدار العذاب المخلد[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ج١١ ص٤٠٥ والقول السديد ص١٣٨ والدرر السنية ج٧ ص٨٨

(٢) انظر: تفسير الرازي ج٢٥ ص٧٦ وروح المعاني ج٢١ ص٣ ـ٤.

(٣) سورة العنكبوت،الآية: (٤٧).

(٤) انظر: تفسير الرازي ج٢٧ ص١٢٠، وروح المعاني ج٢٤ ص١١٩، ١٢٠، والصارم المسلول ص ٥٢.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[١]. ولا يخلد في النار إلا كافر كفراً أكبر.

٢- أن في هذا الإنكار تكذيباً ظاهراً للأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ التي تقرر ما جحد وقد قرر العلماء أن من رد حديثاً واحداً صحيحاً أو كذبه بغير تقية ـ مع علمه بصحته ـ فهو كافر[٢]. يقول إسحاق بن راهويه: «من بلغه عن رسول الله ﷺ خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر»[٣].

وقال ابن الوزير: «إن التكذيب لحديث رسول الله ﷺ مع العلم أنه حديثه كفر صريح»[٤].

٣- إجماع العلماء على كفر من جحد أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وقد حكى هذا الإجماع جمع من العلماء.

يقول ابن قدامة ـ وهو يتكلم عن حكم من ترك الصلاة ـ

---

(١) سورة فصلت، الآيتان: (٢٧ ـ ٢٨).

(٢) انظر: نواقض الإيمان القولية ص٢٥٠.

(٣) الإحكام لابن حزم ج١ ص٩٧ .

(٤) العواصم والقواصم ج٢ ص٣٧٤.

«ولا خلاف بين أهل العلم في كفر من تركها جاحداً لوجوبها إذا كان ممن لا يجهل مثله ذلك.. وكذا الحكم في مباني الإسلام كلها وهي الزكاة والصيام والحج...»[١].

وقال القاضي عياض: «وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل أو شرب الخمر أو الزنى مما حرم الله بعد علمه بتحريمه...»[٢].

وقال ابن تيمية: «إن الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرة وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة هو من أعظم أصول الإيمان وقواعد الدين والجاحد لها كافر بالاتفاق»[٣].

وقال أيضاً: «والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه فإنه كافر مرتد باتفاق الفقهاء»[٤]. وقال ابن الأثير: «فمن أنكر فرضية أحد أركان الإسلام كان كافراً بالإجماع»[٥]. وقال ابن الوزير: «وكذلك لا

---

(١) المغني ج٨ ص١٣١.
(٢) الشفا ج٢ ٦١١ ـ ٦١٢. وانظر ص ٦١٥ .
(٣) مجموع الفتاوى ج١٢ ص٤٩٥.
(٤) مجموع الفتاوى ج٣ ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(٥) النهاية لابن الأثير ج٤ ص١٨٧.

خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله...»[١].

الثالث: كفر الإباء والاستكبار:

تعريفه: الإباء: الامتناع[٢]. والاستكبار: الاستعظام للنفس[٣].

والمراد بكفر الإباء والاستكبار هو: الامتناع عن الانقياد لأمر الله أو أمر رسوله ﷺ إباءً واستكباراً مع معرفة أنه حق. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمتى ترك الانقياد كان مستكبراً فصار من الكافرين وإن كان مصدقاً»[٤]. وقال أيضاً: «وإنما الكفر يكون بتكذيب الرسول ﷺ أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه»[٥].

ويقول ابن القيم: «وأما كفر الإباء والاستكبار فنحو كفر إبليس... ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول ﷺ وأنه جاء بالحق

---

(١) إيثار الحق على الخلق ص٤١٥.وانظر شرح الطحاوية ص ٣٥٥، والإرشاد إلى معرفة الأحكام ص٢٠٦ وفتاوى اللجنة الدائمة ج١ ص ٥٠، ج ٢، ص ٢٦

(٢) يقال أبى الرجل يأبى إباءً:امتنع، انظر: المصباح المنير ص١. وتفسير الطبري ج١ ص١٨١.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ج١ ص٣٣٧ وفتح القدير ج١ ص٦٦.

(٤) الصارم المسلول ص٥١٠.

(٥) درء تعارض العقل والنقل ج١ ص٢٤٢.

من عند الله ولم ينقد له إباءً واستكباراً...»[١].

أمثلته:

١- كفر إبليس عندما لم ينقد لأمر الله له بالسجود لآدم استكباراً قال تعالى: ﴿... إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٢].

٢- كفر الذين صدقوا الرسل بقلوبهم ولم يتبعوهم عناداً واستكباراً كفرعون وقومه قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ...﴾[٣].

٣- كفر من عرف صدق الرسول ﷺ وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباءً واستكباراً كاليهود الذين شهدوا أن الرسول ﷺ حق واستكبروا عن اتباعه؛ لأنه لم يكن من بني إسرائيل، وكمن امتنع من قبول حكم معلوم من الدين بالضرورة ورفض الانقياد له استكباراً مثل من ترك الصلاة ونحوها استكباراً[٤].

---

(١) مدارج السالكين ج١ ص٣٣٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: (٣٤).

(٣) سورة النمل، الآية: (١٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٩٧-٩٨، ودرء تعارض العقل والنقل ج١ ص٢٤٢، ومدارج السالكين ج١ ص٣٣٧، وفتح القدير ج١ ص٦٦، ونواقض =

الأدلة: كثيرة منها ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[١].

يقول ابن جرير: «وتأويل قوله (أبى) يعني جل ثناؤه بذلك إبليس أنه امتنع من السجود لآدم.. (واستكبر) يعني بذلك أنه تعظم وتكبر عن طاعة الله في السجود لآدم،وهذا ـ وإن كان من الله جل ثناؤه خبراً عن إبليس ـ فإنه تقريع لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله والانقياد لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه... ثم وصف إبليس بمثل الذي وصف به الذين ضربه لهم مثلاً في الاستكبار... فقال جل ثناؤه (وكان) يعني إبليس(من الكافرين)... بخلافه عليه فيما أمره به من السجود لآدم..»[٢].

ويقول القرطبي: «قوله تعالى (واستكبر) الاستكبار: الاستعظام فكأنه كره السجود في حقه واستعظمه في حق آدم. فكان ترك السجود لآدم تسفيهاً لأمر الله وحكمته. وعن هذا الكبر عبر عليه السلام بقوله «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»

= الإيمان القولية ص٢٤٦.

(١) سورة البقرة، الآية: (٣٤).

(٢) تفسير الطبري ج١ ص١٨٠ ـ ١٨١.

في رواية فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً قال: ((إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس))[1].

ومعنى بطر الحق: تسفيهه وإبطاله. وغمط الناس: الاحتقار لهم والازدراء بهم. ويروى وغمص بالصاد، والمعنى واحد... وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال: ﴿... أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[2]. ﴿... ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[3]. ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[4] فكفّره الله بذلك فكل من سفّه شيئاً من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله ﷺ كان حكمه حكمه وهذا ما لا خلاف فيه))[5].

٢- إجماع العلماء على كفر من امتنع عن الانقياد لأمر الله أو أمر رسوله ﷺ استكباراً وقد حكى هذا الإجماع جمع من العلماء.

---

(١) رواه مسلم في الإيمان باب تحريم الكبر وأبو داود برقم ٤٠٩١ والترمذي برقم ١٩٩٩ وانظر: جامع الأصول حديث ٨٢١٠ (المتن والحاشية).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٢).

(٣) سورة الإسراء، الآية: (٦١).

(٤) سورة الحجر، الآية: (٣٣).

(٥) تفسير القرطبي ج١ ص٣٣٧ ـ ٣٣٨.

يقول إسحاق بن راهويه: «وقد أجمع العلماء أن من سب الله عز وجل أو سب رسوله ﷺ أو دفع شيئاً أنزله الله... وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر...»[١].

وقال ابن تيمية: «إن العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرمه عليه واعتقاد انقياده لله فيما حرمه وأوجبه فهذا ليس بكافر، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبى أن يذعن لله وينقاد فهو إما جاحد أو معاند، ولهذا قالوا من عصى الله مستكبراً كإبليس كفر بالاتفاق»[٢].

وقال أيضاً ـ وهو يتكلم عن حكم تارك الصلاة ـ «... والثاني: ألّا يجحد وجوبها لكنه ممتنع من التزام فعلها كبراً أو حسداً أو بغضاً لله ورسوله فيقول: أعلم أن الله أوجبها على المسلمين والرسول صادق في تبليغ القرآن ولكنه ممتنع عن التزام الفعل استكباراً أو حسداً للرسول أو عصبية لدينه أو بغضاً لما جاء به الرسول ﷺ فهذا أيضاً كافر بالاتفاق...»[٣][٤].

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ج٤ ص٢٢٦.

(٢) الصارم المسلول ص٥٢١.

(٣) مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٩٧.

(٤) كما حكاه القرطبي في تفسيره ج١ ص٣٣٨ ومحمد رشيد رضا في تفسيره ج١ ص٢٦٦.

الرابع: كفر الإعراض:

تعريفه: الإعراض لغة:الصدود. يقال أعرض عن الشيء: صد عنه، بأن يوليه عرضه ـ أي جانبه ـ ولا يقبل عليه أو يلتفت إليه [1].

والمراد بكفر الإعراض: هو الإعراض التام عن الحجة [2]، وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها إعراضاً يخل بأصل الإيمان [3].

حكمه: إن كان الإعراض يخل بأصل الإيمان كأن يكون إعراضاً تاماً عن تعلم الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام مع قدرته على ذلك لعدم الرغبة، أو عن قبوله والانقياد القلبي له،أو يعرض إعراضاً تاماً عن العمل بالجوارح (بأن يترك جنس العمل) مع القدرة، أو يعرض عما دل الدليل على أن تاركه يكفر كالصلاة، وكالإعراض عن حكم الله ورسوله متعمداً ولاسيما بعد دعوته إليه وتذكيره به فهذا كفر. أما إن كان الإعراض إنما يخل بكمال الإيمان، كأن يكون بترك واجبات فلا يعد كفراً، وإنما ينقص الإيمان [4].

---

(١) انظر: الصحاح، ج٣، ص ١٠٨٤، والقاموس المحيط، ج٢، ص ٣٣٥، ومعجم مقاييس اللغة ج٤، ص٢٧٢، والمفردات: ٣٣٠.

(٢) لعدم الرغبة فيها لا للعجز.

(٣) انظر: طريق الهجرتين، ص ٧١٤،٧١٦، ومدارج السالكين، ج١، ص ٣٣٨، والدرر السنية، ج٨، ص ٢٥٨.

(٤) انظر: الصارم المسلول، ص ٣٨. ومجموع الفتاوى لابن تيمية، ج٧، ص٦٣٩، =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد تبين أن الدين لابد فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه ولم يؤد واجباً ظاهراً،ولا صلاة، ولا زكاة ولا صياماً، ولا غير ذلك من الواجبات»[١].

وقال ابن القيم: «الأصل الثاني: أن العذاب يستحق بسببين أحدهما الإعراض عن الحجة، وعدم إرادتها، والعمل بها وبموجبها، والثاني العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها، فالأول كفر إعراض...»[٢].

وقال الشيخ ابن سحمان: «...فتبين من كلام الشيخ[٣]. أن الإنسان لا يكفر إلا بالإعراض عن تعلم الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام...»[٤].

= ج١٢، ص٤٩٧، ومفتاح دار السعادة، ج١، ص٩٤،٤٤ ــ ٩٥، وطريق الهجرتين، ص٧١٦، وتفسير المنار، ج٥، ص٢٢٧، ومنهاج أهل الحق والاتباع، ص٦٤ ــ ٦٥، ونواقض الإيمان الاعتقادية، ج٢، ص١٣١، ونواقض الإيمان القولية والعملية، ص٣٤٦.

(١) مجموع الفتاوى، ج٧، ص٦٢١. وانظر ص ١٤٢من نفس الجزء.

(٢) طريق الهجرتين، ص٤١٤، وانظر، ص ٤١٢ من نفس المرجع.

(٣) الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ. انظر: الدرر السنية، ج٨، ص ٢٥٨.

(٤) الدرر السنية، ج٨، ص ٢٥٨، ومنهاج أهل الحق، ص٦٣ ــ ٦٤.

الأدلة: وهي كثيرة منها ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

يقول ابن كثير: («فإن تولوا» أي تخالفوا عن أمره. «فإن الله لا يحب الكافرين» فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى... في نفسه أنه محب لله... حتى يتابع الرسول... خاتم الرسل...)(٢).

وقال أبو السعود ـ في تفسير هذه الآية ـ: «...فإن سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والإيذان بأن التولي عن الطاعة كفر»(٣).

٢- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾(٤).

قال الشيخ ابن سعدي ـ في تفسير هذه الآية ـ: «أي لا أحد أظلم وأزيد تعدياً ممن ذكر بآيات ربه... التي تقتضي أن يقابلها بالإيمان والتسليم والانقياد والشكر فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٣٢).

(٢) تفسير ابن كثير، ج١ ص ٣٥٨ .

(٣) تفسير أبي السعود، ج١، ص ٣٤٩. وانظر: روح المعاني، ج٣، ص ١٣٠.

(٤) سورة السجدة، الآية: (٢٢).

يؤمن بها ولا اتبعها بل أعرض عنها... فهذا من أكبر المجرمين الذين يستحقون شديد النقمة ولهذا قال «إنا من المجرمين منتقمون»» [١].

٣- وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [٢].

يقول ابن حزم: «هذه الآيات محكمات لم تدع لأحد علقة يشغب بها قد بين الله فيها صفة أهل زماننا فإنهم يقولون: «نحن المؤمنون بالله وبالرسولﷺ ونحن طائعون لهما،ثم يتولى طائفة منهم بعد هذا الإقرار فيخالفون ما وردهم عن الله عز وجل ورسوله ﷺ أولئك بنص حكم الله تعالى عليهم ليسوا مؤمنين»» [٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في تعليقه على هذه الآيات ـ: «فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن... » [٤].

---

(١) تفسير ابن سعدي، ج٦، ص٩٢، وانظر: تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤٦٢، وتفسير الخازن، ج٣، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

(٢) سورة النور، الآيتان: (٤٧ ـ ٤٨).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، ج١، ص١٠٠ .

(٤) الصارم المسلول، ص٣٨. وانظر: تفسير ابن كثير، ج٣، ص٢٩٨ .

وقال أيضاً: «... فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول...»[١].

٤- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[٢].

يقول ابن القيم: «فجعل الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ والالتفات إلى غيره هو حقيقة النفاق...»[٣].

وقال محمد رشيد رضا: «والآية ناطقة بأن من صدّ وأعرض عن حكم الله ورسوله عمداً ولاسيما بعد دعوته إليه وتذكيره به فإنه يكون منافقاً لا يعتد بما يزعمه من الإيمان وما يدعيه من الإسلام»[٤].

٥- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[٥].

يقول الشوكاني: «...«قال كذلك» أي مثل ذلك فعلت أنت ثم

---

(١) مجموع الفتاوى، ج٧، ص١٤٢ .

(٢) سورة النساء، الآية: (٦١).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة، ج٢، ص٤٦٧ .

(٤) تفسير المنار، ج٥، ص٢٢٧.

(٥) سورة طه، الآيات: (١٢٤ ـ ١٢٦).

فسره بقوله: «أتتك آياتنا فنسيتها» أي أعرضت عنها وتركتها ولم تنظر فيها «وكذلك اليوم تنسى» أي مثل ذلك النسيان الذي فعلته في الدنيا تنسى: أي تترك في العمى والعذاب في النار...»[١].

الخامس: كفر الشك:

تعريفه: الشك [٢].لغة: خلاف اليقين.

وهو: التردد بين شيئين سواء استوى طرفاه، أو رجح أحدهما على الآخر. قال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ...﴾ [٣]، قال المفسرون: أي غير مستيقن. وهو يعم الحالتين.كما يأتي ويراد به الطعن، يقال شككته بالرمح شكاً: أي طعنته.

والصف والضم: يقال شك القوم بيوتهم جعلوها مصطفة

---

(١) فتح القدير، ج٣، ص٣٩٢. وانظر: التفسير القيم، ص٣٦١. وأيسر التفاسير، ج٣، ص٨٤.

(٢) قال الفيومي: ومعنى الشك: الارتياب. والريب: الشك. المصباح المنير، ص٩٤، ص١٢٢. وانظر: لسان العرب، ج١، ص١٢٦٣. وقد ذكر شيخ الإسلام فرقاً دقيقاً بين الريب والشك. فقال: (والريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب بخلاف الشك فإنه لا يكون إلا في العلم) وعليه فالريب أعم من الشك. مجموع الفتاوى، ج٧، ص٢٨١. وانظر: ج٢٨، ص٤٢ ـ ٤٣.

(٣) سورة يونس، الآية: (٩٤).

متقاربة على نظم واحد. وكل شيء ضممته إلى شيء فقد شككته[١].

الشك في الاصطلاح: هو الوقوف بين منزلتي الجهل والعلم[٢].

وهو عند الفقهاء ـ كما قال ابن القيم[٣] وغيره ـ هو التردد بين وجود الشيء وعدمه سواء تساوى الاحتمالان أو رجح أحدهما.

وعند الأصوليين: إن تساوى الاحتمالان فهو شك و إلا فالراجح ظن والمرجوح وهم وقول الفقهاء موافق للغة[٤].

والمراد بكفر الشك: هو التردد بين الإيمان وعدمه في شيء من أصول الدين أو بين التصديق وعدمه بخبر أو حكم ثابت مما هو معلوم من الدين بالضرورة.

أمثلته: ومنها:

الشك في وحدانية الله أو في كون الكاشف للضر هو الله وحده.

الشك في وجود الملائكة ونحو ذلك. الشك في شيء من القرآن.

الشك في نبوة محمد ﷺ أو في صدق ما أخبر به. كالشك في

---

(١) انظر: لسان العرب، ج٢، ص٣٤٧. والمصباح المنير، ص١٢٢.

(٢) قواطع الأدلة، ج١، ص١٨.

(٣) بدائع الفوائد ج٤، ص٢٦. وانظر: المصباح المنير، ص١٢٢.

(٤) انظر: الواضح، ج٤، ص٣٨٤، والمصباح المنير، ص١٢٢، والتعريفات الاعتقادية، ص٢١٤.

البعث، أو الحساب، أو الجنة، أو النار ونحو ذلك.

الشك في وجوب الصلاة، أو الزكاة ونحوهما ممن لا عذر له.

الشك في تحريم المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة. كالشك في تحريم الربا، أو الزنى ونحوهما.

الشك في بطلان غير الملة الإسلامية وكفر من دان بها بعد بعثة محمد ﷺ[١] [٢].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ج٢، ص٣٦٨، ج١٢، ص٣٣٥، ومدارج السالكين، ج١، ص٣٣٨، ومراتب الإجماع، ص١٧٧. والإقناع، ج٤، ص٢٨٦، والشفا، ج٢، ص٦٤٦، وروضة الطالبين،ج١٠، ص٧٠، والضياء الشارق، ص٣٧٤ .

(٢) تنبيه: نظراً لأن بعض الوسوسة قد تشكل على البعض فيظنها من الشك، لذا رأيت أن أنبه إلى أن هناك فروقاً بينهما منها:

(أ) أن الشك يتضمن ترك الإيمان بما شك فيه. فمثلاً الشك فيما جاء به الرسول ﷺ يتضمن ترك الإيمان بالله والرسول، أما الوسوسة: فهي مما يهجم على القلب بغير اختيار الإنسان فإذا كرهه العبد ونفاه كانت كراهيته صريح الإيمان، وقد خاف بعض الصحابة من العقوبة على ذلك فقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦]، مجموع الفتاوى، ج١٤، ص١٠٨ (بتصرف).

(ب) أن الشك ينبني على أصل كإخبار من لا يُقبل خبره، أما الوسوسة فلا تنبني على أصل معتبر وإنما هي حديث النفس والشيطان.

(جـ) أن الشك يزول بزوال سببه بخلاف الوسوسة فلا تزول إلا بجهد بالغ وعزيمة قوية انظر: ص ٨٦ ـ ٨٧ الوسوسة وأحكامها.

الأدلة: لقد دل الكتاب والسنة والإجماع على كفر من وقع في هذا النوع من الشك

أولاً: من الكتاب.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾(١).

يقول الشنقيطي: «وقوله في هذه الآية الكريمة «أكفرت بالذي خلقك من تراب» بعد قوله «وما أظن الساعة قائمة» يدل على أن الشك في البعث كفر بالله تعالى»(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ...﴾(٣).

فالآية ـ كما نرى ـ تدل على أن من شروط صدق إيمان المؤمنين بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا: أي لم يشكوا أبداً في وحدانية الله ولا في نبوة نبيه ﷺ، ولا في ما جاء به عن الله، وعليه فمن ارتاب في

(١) سورة الكهف، الآيات: (٣٥ ـ٣٧).

(٢) أضواء البيان، ج٤، ص١٠٤ .

(٣) سورة الحجرات، الآية: (١٥).

شيء مما ذُكر فليس بمؤمن بل هو من المنافقين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[1][2].

ثانياً: من السنة:

ومن ذلك ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»[3].

هذا الحديث ـ كما نرى ـ يدل على اشتراط اليقين بالشهادة حتى يدخل قائلها الجنة.وعليه فمن شك في شهادة التوحيد فإنه لا يدخل الجنة لانتفاء هذا الشرط.

ثالثاً: الإجماع:

لقد حكى جمع من العلماء الإجماع على كفر من وقع في هذا النوع من الشك، وإليك شيئاً مما قالوا في ذلك: يقول القاضي عياض ـ بعد أن ذكر بعض المكفرات ـ «وكذلك من أضاف إلى

---

(١) سورة التوبة، الآية: (٤٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري، ج٢١، ص٣٩٤، ومعارج القبول، ج٢، ص٤١٩.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ج١ ص٢٢٤ صحيح مسلم (المطبوع مع شرح النووي) .

نبينا ﷺ تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به، أو شك في صدقه أو سبه... فهو كافر بإجماع»[(١)].

وقال أيضاً: «واعلم أن من استخف بالقرآن... أو بشيء منه... أو كذب به أو بشيء منه أو بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم بذلك، أوشك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع»[(٢)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ وهو يتكلم عن نواقض الإسلام ـ: «... الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر إجماعاً»[(٣)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «... فإن كان شاكاً في كفرهم أو جاهلاً بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على كفرهم فإن شك بعد ذلك وتردد فإنه كافر بإجماع العلماء على أن من شك في كفر الكفار فهو كافر»[(٤)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «... فمن أنكر

---

(١) الشفا، ج٢، ص ٦٠٨ .

(٢) الشفا، ج٢، ص ٦٤٦ .

(٣) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الخامس، ص٢١٣.

(٤) أوثق عرى الإيمان (مجموعة التوحيد) ص ١٦٠ .

هذا التوحيد أو شك فيه... كفر بإجماع المسلمين»[١].

وقال الشيخ ابن سحمان: «وقد دل القرآن على أن الشك في أصول الدين كفر. والشك هو التردد بين شيئين كالذي لا يجزم بصدق الرسول ﷺ ولا كذبه، ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ونحو ذلك كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها أولا يعتقد تحريم الزنى ولا عدم تحريمه وهذا كفر بإجماع العلماء»[٢].

السادس: كفر الاستهزاء بشيء من دين الله:

تعريفه : الاستهزاء: لغة: السخرية والاستخفاف.

يقال: هزأ به ومنه هزءاً وهزوءاً واستهزاءً: سخر به أو منه، والاسم: الهزء.

وأصل هذه المادة: الخفة من الهزء، وهو العدو السريع، يقال ناقة تهزأ به أي: تسرع وتخف[٣].

والمراد بالاستهزاء ـ هنا ـ هو: الخوض واللعب إذا كان موضوعه صفات الله تعالى أو أفعاله أو شرعه أو آياته المنزلة، أو أفعال أو

---

(١) القول الفصل النفيس، ص٣٥ .

(٢) الضياء الشارق، ص ٣٧٤ .

(٣) انظر: لسان العرب،ج٣،ص١٠٨، وتفسير الرازي، ج٢، ص٦٩، وروح المعاني، ج١، ص١٥٨.

أخلاق رسوله ﷺ أو غير ذلك من تعاليم الإسلام، أو بأحد لأجل ما هو عليه من العلم بدين الله أو العمل به كالاستهزاء بالعلماء لأجل ما هم عليه من العلم بدين الله أو بالصالحين لالتزامهم بالسنة [1].

فالخوض واللعب إذا كان موضوعه شيئاً مما ذُكر كان استهزاءً بدين الله؛ لأن الاستهزاء بالشيء عبارة عن الاستخفاف به وكل ما يلعب به فهو مستخف به [2].

حكمه: الاستهزاء بشيء من دين الله إذا صدر بعد المعرفة من مكلف مختار، فهو كفر سواء كان المستهزئ جاداً أو هازلاً [3].

---

(١) ذلك أن هذا الاستهزاء متوجه إلى الدين والسنة. أما إذا كان الاستهزاء بالعلماء أو الصالحين استهزاءً بأشخاصهم كمن يستهزئ بأوصافهم الخلقية أو الخلقية فهذا محرم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ...﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١١]. لكن لا يصل إلى حد الكفر. انظر: تفسير ابن كثير، ج٤، ص٢١٢.والمجموع الثمين، ج١، ص٦٥.

(٢) تفسير المنار، ج١٠،ص٥٣٠. (بتصرف) وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة، ج٢، ص١٤ ــ ١٥ والمجموع الثمين، ج١، ص٦٥، ونواقض الإيمان القولية والعملية، ص٤٤٢.

(٣) انظر:مجموع الفتاوى، ج٧، ص٢٧٣، ج١٥، ص٤٨، والصارم المسلول، ص٣١ ــ ٣٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢، ص٩٧٦، وتيسير العزيز الحميد، ص٥٥٣، وفتاوى اللجنة الدائمة، ج١، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

يقول ابن تيمية: «وهذا مما يبين لك أن الاستهزاء بالله أو برسوله ينافي الانقياد له... فإن الانقياد إجلال وإكرام والاستخفاف إهانة وإذلال، وهذان ضدان فمتى حصل في القلب أحدهما انتفى الآخر، فعلم أن الاستخفاف والاستهانة به ينافي الإيمان منافاة الضد للضد»[١].

وقال ابن حزم: «وصح بالنص أن كل من استهزأ بالله تعالى، أو بملك من الملائكة، أو بنبي من الأنبياء عليهم السلام، أو بآية من القرآن، أو بفريضة من فرائض الدين، فهي كلها آيات الله تعالى، بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر»[٢].

وقالت اللجنة الدائمة: «سب الدين والاستهزاء بشيء من القرآن والسنة والاستهزاء بالمتمسك بها نظراً لما تمسك به كإعفاء اللحية وتحجب المسلمة، هذا كفر إذا صدر من مكلف، وينبغي أن يبين له أن هذا كفر فإن أصر بعد العلم فهو كافر...»[٣].

الأدلة: ومما يدل على ذلك ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤)

---

(١) الصارم المسلول ص ٥٢٠ ـ ٥٢١.

(٢) الفصل، ج٣، ص٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، ج٢، ص١٤.

وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[١].

قال شيخ الإسلام ـ بعد أن ذكر هذه الآيات ـ: «وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر... وقد دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله ﷺ جاداً أو هازلاً فقد كفر»[٢].

وقال الفخر الرازي: «قوله «قد كفرتم بعد إيمانكم» يدل على أحكام:

الحكم الأول: أن الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله، وذلك لأن الاستهزاء يدل على الاستخفاف، والعمدة الكبرى في الإيمان تعظيم الله تعالى بأقصى الإمكان والجمع بينهما محال»[٣].

فالآية ـ كما رأينا ـ تدل على أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر، كما تدل على أن الاستهزاء بالمؤمنين استهزاء بالله وآياته ورسوله، بدليل ما ورد في أسباب نزول هذه الآية عن عبدالله بن عمر رضي الله

---

(١) سورة التوبة، الآيات: (٦٤ ـ ٦٦).

(٢) الصارم المسلول، ص٣١ .

(٣) التفسير الكبير، ج١٦، ص١٢٤ .

عنهما قال: «قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء منهم. فقال له رجل كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن. قال ابن عمر: «فأنا رأيته متعلقاً بحقب[1] ناقة رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه[2] وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟»»[3].

وعلى هذا فالآية تدل أيضاً على أن الاستهزاء بالمؤمنين لأجل ما هم عليه من العلم بدين الله أو لالتزامهم بالسنة كفر؛ إذ هو من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله.

قال شيخ الإسلام: «... فهؤلاء لما تنقّصوا النبي ﷺ حيث عابوه والعلماء من أصحابه واستهانوا بخبره أخبر الله أنهم كفروا بذلك وإن قالوه استهزاءً...»[4].

---

(١) بحزام في وسط الناقة .

(٢) تنكبه: تكثر فيه الجراح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: أسباب النزول للسيوطي. بحاشية مفردات القرآن ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ وابن كثير في تفسيره، ج٢، ص٣٦٧.

(٤) الصارم المسلول ص ٣٢ ـ ٣٣.

٢- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾... إلى أن قال سبحانه حكاية عنهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ فأجابهم الحق بقوله: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[(١)]. في الآيات دلالة على أن الاستهزاء بالمؤمنين لأجل إيمانهم من أسباب دخول النار وقطع الرحمة[(٢)]. مما يدل على أنه كفر.

قال الإمام الشنقيطي ـ في تعليقه على هذه الآيات ـ: «قد تقرر في الأصول في مسلك الإيماء والتنبيه أن (إن) المكسورة المشددة من حروف التعليل كقولك عاقبه إنه مسيء: أي لأجل إساءته وقوله في هذه الآية: (إنه كان فريق من عبادي... الآيتين) يدل فيه لفظ إن المكسورة المشددة على أن من الأسباب التي أدخلتهم النار هو استهزاؤهم وسخريتهم من هذا الفريق المؤمن... وحتى في قوله: (حتى أنسوكم ذكري...) حرف غاية لاتخاذهم إياهم سخرياً: أي لم يزالوا كذلك حتى أنساهم ذلك ذكر الله والإيمان به فكان مأواهم

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: (١٠٣ ـ ١١٠).

(٢) انظر: تفسير ابن سعدي، ج٥، ص١٨٩. وأضواء البيان، ج٥، ص٨٢٧ .

النار والعياذ بالله»[١].

٣- وقـال تعـالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٢].

في الآية توعد بالعذاب المهين للمستهزئ بشيء من آيات الله[٣].

ولم يجئ إعداد العذاب المهين إلا في حق الكفار ـ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ [٤]. مما يدل على أن الاستهزاء بشيء من آيات الله كفر.

٤- كمـا أجمـع العلمـاء علـى كفـر المـستهزئ بـالله أو بكتابـه أو برسوله أو بغير ذلك من دين الله يقول الإمام ابن العربي[٥]: «المسألة الثانية: لا يخلو أن يكون ما قالوه[٦] من ذلك جداً أو هزلاً وهو كيفما كان كفر... لا خلاف فيه بين الأمة»[٧].

---

(١) أضواء البيان ج٥، ص٨٢٧ ـ ٨٢٨.

(٢) سورة الجاثية، الآية: (٩).

(٣) انظر: أضواء البيان، ج٧، ص٣٤٣ .

(٤) انظر: الصارم المسلول، ص٥٢.

(٥) في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ...﴾ [سورة التوبة، الآية: ٦٥].

(٦) المنافقون.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي، ج٢، ص٩٧٦ .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً»(١).

وقال الشيخ حمد بن عتيق: «اعلم أن العلماء قد أجمعوا على أن من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه... فهو كافر... واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ... ﴾(٢)(٣).

السابع: كفر البغض والكراهية لشيء من دين الله:

معنى البغض والكراهية:

قال ابن منظور: «البغض والبغضة: نقيضة المحبة»(٤).

وقال الفيومي ـ في الكره ـ «وكرهته أكرهه من باب تعب كرهاً بضم الكاف وفتحها ضد أحببته»(٥). من كلام هذين الإمامين

---

(١) تيسير العزيز الحميد، ص٥٥٣ .

(٢) سورة التوبة، الآيات: (٦٥ ـ ٦٦).

(٣) الدرر السنية، ج٨، ص٢٤٢، وانظر: الشفا، ج ٢ ص٦٠٨، ٦٤٦، وروح المعاني، ج١٠، ص١٣١. وحاشية كتاب التوحيد لابن قاسم، ص٣١٩ .

(٤) لسان العرب، ج١، ص٢٣٩. وانظر: ج ٣، ص٢٥٠.

(٥) المصباح المنير ص ٢٠٣.

وغيرهما[١] اتضح أن البغض والكراهية نقيض المحبة.

وبما أن الحب انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه.فإن البغض والكراهية: نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه[٢].

وهو نوعان: الأول: الطبعي: وهو أن يعاف الشيء لنفور الطبع عنه.

مثاله: أن يكره بعض التكاليف الشرعية لما فيها من المشقة لا أنه يكره أمر الله وإنما يعتقد أن ما شرعه الله هو الحق والصواب [٣] ويرضى به.

قال الإمام البغوي: «وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[٤] قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى...»[٥].

---

(١) انظر: القاموس المحيط،ج٢، ص ٣٢٥، ومختار الصحاح ص٥٩، ص٥٦٩.

(٢) انظر: المفردات للراغب، ص٥٥ .

(٣) انظر: المفردات للراغب، ص٤٢٩. وتفسير البغوي، ج١، ص٢١٤. وتفسير الرازي، ج٦، ص٢٨ وتيسير ذي الجلال والإكرام، ص٦٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: (٢١٦).

(٥) تفسير البغوي، ج١، ص٢٠٤ .

وهذا الكره ليس المقصود ـ هنا ـ إذ أنه لا ينافي الرضى والتسليم.

قال ابن القيم: «وليس من شرط الرضى ألا يحس بالألم والمكاره. بل ألا يعترض على الحكم ولا يتسخطه. ولهذا أشكل على بعض الناس الرضى بالمكروه وطعنوا فيه. وقالوا: هذا ممتنع على الطبيعة. وإنما هو الصبر، وإلا فكيف يجتمع الرضى والكراهة ؟ وهما ضدان. والصواب أنه لا تناقض بينهما، وأن وجود التألم وكراهة النفس له لا ينافي الرضى، كرضى المريض بشرب الدواء الكريه...ورضى المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح وغيرها...»[١].

الثاني: الاعتقادي ــ وهو المراد هنا ــ وهو ما تضمن الكراهية لأمر الله أو أمر رسوله ﷺ لاعتقاد أنه خلاف الحق والصواب [٢].

مثاله: البغض للرسول ﷺ، أو لما جاء به لاعتقاد أنه خلاف الصواب، كمن يكره ما شرعه الله في ميراث المرأة أو شهادتها ونحو ذلك ومن ثم يعترض ويتسخط [٣].

---

(١) مدارج السالكين، ج٢، ص١٧٥ .

(٢) انظر: تفسير البغوي، ج١، ص٢٢٤ . وتيسير ذي الجلال والإكرام، ص٦٩. ونواقض الإيمان الاعتقادية ص١٧٩.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ج٢، ص١٧٥، وتيسير ذي الجلال والإكرام، ص٦٩.

حكمه: البغض للرسول ﷺ أو لما جاء به كفر بالاتفاق ـ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ [(١)] وغيره [(٢)] [(٣)].

الأدلة: ومما يدل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾[(٤)].

قال الإمام الشنقيطي: «والآية الكريمة تدل على أن كل من أطاع من كره ما نزل الله في معاونته له على كراهته ومؤازرته له على ذلك الباطل أنه كافر بالله بدليل قوله تعالى فيمن كان كذلك: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [(٥)][(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٩٧. والإقناع ج٤ ص١٨٥. وانظر: الصارم المسلول ص٥٢٢. ومجموع الفتاوى ج١٤ ص١٠٧. والفتاوى الكبرى ج٥ ص٥٣٥.

(٢) انظر: بيان مسائل الكفر والإيمان، ص٦١.

(٣) ذلك أنه منافٍ للمحبة لـ لا إله إلا الله أو لما تقتضيه؛ إذ هو نقيض المحبة، كما أنه مانع من القبول والانقياد لـ لا إله إلا الله أو لما تقتضيه، إذ هو أصل كل ترك. انظر: قاعدة المحبة، ص٧ .

(٤) سورة محمد، الآيات: (٢٥ ـ ٢٦).

(٥) سورة محمد، الآيات: (٢٧ ـ ٢٨).

(٦) أضواء البيان ج٧ ص٥٨٧. وانظر: تفسير البغوي ج٤ ص١٨٣.

وإذا كانت طاعة الكاره لما أنزل الله ومؤازرته على كراهته كفر فكيف بالكاره.

وغير هذه الآيات آيات كثيرة كلها تدل على أن كراهة ما أنزل الله من صفات الكافرين وعادتهم مع جميع الرسل من عهد نوح إلى عهد محمدﷺ[1].

مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[4].

كما وصف الله بها المنافقين.

قال تعالى: ﴿... وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[5].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ج٧، ص١٨٠.

(٢) سورة محمد، الآيتان: (٨ ـ ٩).

(٣) سورة الحج، الآية: (٧٢).

(٤) سورة المؤمنون، الآية: (٧٠).

(٥) سورة التوبة، الآية: (٥٤).

وقال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ...﴾[1]. ولذلك عُدَّ من أنواع النفاق الأكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار... بأن يظهر تكذيب الرسول ﷺ.. أو بغضه ... أو المسرة بانخفاض دينه أو المساءة بظهور دينه...»[2].

كما عُد من نواقض الإسلام. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «اعلم أن نواقض الإسلام عشرة... إلى أن قال: الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر»[3].

الثامن: كفر الخروج عن شريعة رسول الله ﷺ:

المراد به: هو اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ:

أ- من قال بهذا المعتقد:

اشتهر هذا المعتقد عند بعض المبتدعة كغلاة الصوفية.

يقول الأشعري: «وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى

---

(١) سورة التوبة، الآية: (٨١).

(٢) مجموع الفتاوى، ج٢٨، ص٤٣٤. وانظر: مجموعة التوحيد، ص١٠.

(٣) مجموعة التوحيد، ص٣٨ .

درجة تزول فيها عنهم العبادات وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنى وغيره مباحات لهم»[١].

وقال ابن حزم ـ رحمه الله ـ: «ادعت طائفة من الصوفية أن من أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل، وقالوا: من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك وحلت له المحرمات كلها من الزنى والخمر وغير ذلك فاستباحوا بهذا نساء غيرهم»[٢].

ب ـ شبهات من قال بهذا المعتقد مع المناقشة:

لقد تمسك من قال بهذا المعتقد بشبهات. وإليك شيئاً منها مع الجواب.

الشبهة الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[٣].

وجه استدلالهم: هو تأويل اليقين بأنه العلم والمعرفة، إذا وصل إليه العبد سقطت عنه التكاليف. فاليقين ـ عندهم ـ هو الإيقان[٤].

قال شيخ الإسلام: «ومن هؤلاء من يحتج بقوله تعالى «واعبد

---

(١) المقالات، ص٢٨٩.

(٢) الفصل، ج٤، ص٢٢٦.

(٣) سورة الحجر، الآية: (٩٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ج١١، ص٤١٩ .

ربك حتى يأتيك اليقين» [١]. ويقول معناها اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة فإذا حصل ذلك سقطت العبادة...»[٢].

الجواب: يقال لهم هذه الآية حجة عليكم لا لكم؛ ذلك أن المراد بها عبادة الله تعالى حتى يأتي اليقين وهو الموت وما بعده باتفاق علماء المسلمين [٣].

يقول ابن عباس: («واعبد ربك»: استقم على طاعة ربك. «حتى يأتيك اليقين». يعني الموت)[٤]. وقال الحسن البصري: «إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت وقرأ قوله تعالى: «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين»[٥].

وقال ابن كثير: «ويستدل بهذه الآية الكريمة... على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتاً... ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم، وهذا

---

(١) سورة الحجر، الآية: (٩٩).
(٢) مجموع الفتاوى، ج١١، ص٤١٧. وانظر مجموع الفتاوى، ج٢، ص٩٥ .
(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ج١١، ص٤١٨. والتفسير الكبير، ج١٩، ص٢١٦.
(٤) تفسير ابن عباس بهامش الدر المنثور، ج٣، ص ٧٧.
(٥) مجموع الفتاوى، ج١١، ص٤١٨، ٥٣٩ .

كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع هذا أكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين ههنا الموت كما قدمناه»[(١)].

وقال شيخ الإسلام: «... فأما أن يظن أن المراد: اعبده حتى يحصل لك إيقان ثم لا عبادة عليك فهذا كفر باتفاق أئمة المسلمين»[(٢)].

الشبهة الثانية: قصة موسى والخضر المذكورة في سورة الكهف في الآيات من ٦٠ إلى آية ٨٢. وفي صحيح البخاري وغيره بروايات منها ما رُوي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسُئل أي الناس أعلم ؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه فقال له بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك... إلى أن قال: فإذا رجل مسجى بثوب فسلم موسى فرد عليه. فقال: وأنى بأرضِكَ السلام: قال: أنا موسى: قال موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا.قال: يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه. قال: هل أتبعك ؟ قال: إنك لن تستطيع معي

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٢، ص٥٦٠ .

(٢) مجموع الفتاوى، ج١١، ص٤١٩ ـ ٤٢٠ .

صبراً... الحديث»[١].

وجه استدلالهم: هو ظنهم أن الخضر خرج عن الشريعة عندما لم يتابع موسى عليه السلام، فيجوز لغيره من الأولياء ما يجوز له من الخروج عن الشريعة [٢].

قال شيخ الإسلام: «وأما احتجاجهم بقصة موسى والخضر فيحتجون بها على وجهين...إلى أن قال: وأما الوجه الثاني: فإن من هؤلاء من يظن أن من الأولياء من يسوغ له الخروج عن الشريعة النبوية كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى...»[٣].

الجواب: يقال لهم: أولاً: أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته ولهذا قال له الخضر «أنت موسى بني إسرائيل ؟ قال نعم».

وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين ليس لأحد الخروج عن متابعته، بل لو أدركه من هو أفضل من الخضر كإبراهيم، وموسى وعيسى لوجب عليهم اتباعه فكيف بالخضر سواء كان نبياً

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٢٧، حديث ٣٤٠١. وانظر: صحيح البخاري (مع الفتح)، ج٦ ص ٤٣١ ـ ٤٣٢.

(٢) مجموع الفتاوى، ج١٣، ص٢٦٦ (بتصرف).

(٣) مجموع الفتاوى، ج١١، ص ٤٢٠ ـ ٤٢٢.

أو ولياً. وعليه فالقياس فاسد.

ثانياً: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام، فإن خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفاً من الظالم أن يأخذها إحسان إليهم.ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع إلا بقتله جاز قتله، وأما الإحسان إلى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع فهذا من صالح الأعمال، فلم يكن في ذلك شيء مخالف لشرع الله.

وأما إنكار موسى عليه السلام عليه فلأنه لم يكن علم الأسباب التي تتيح ذلك فلما بينها له وافقه على ذلك ولو كان ما فعله الخضر مخالفاً لشريعة موسى لما وافقه [1]. وبذلك اتضح بطلان استدلالهم بهذه القصة.

ج ـ في ذكر بعض الأدلة التي تؤكد بطلان هذا المعتقد. ومما يؤكد بطلان هذا المعتقد ما يلي:

١- أن هذا المعتقد يقتضي استحلال محرمات ظاهرة متواترة، وإنكار واجبات ظاهرة متواترة وهذا كفر باتفاق الأئمة[2].

---

(١) مجموع الفتاوى،ج ٢، ص٢٣٣ ـ ٢٣٤، ج٣، ص٤٢٢، ج١١، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤، ٤٢٥ ـ ٤٢٦، ٤٢٧، ٦٠٧،ج١٣، ص٢٦٦ (بتصرف).وانظر: شرح الطحاوية، ص٥٧٧.

(٢) انظر: الشفا، ج٢، ص٦١٣. وشرح السنة، ج١، ص١٠٣. ومجموع الفتاوى، =

٢- أن التكليف الشرعي مشروط بالتمكن من العلم ـ الذي أصله العقل ـ وبالقدرة على الفعل، إذا توفرت وجب العمل. وعليه فلا يسقط التكليف إلا عمن لا يمكنه العلم كالمجنون والطفل، أو عمن يعجز عنه كسقوط الجهاد عن الأعمى ونحوه [١]. أما من سوى ذلك فلا يسقط عنهم شيء من التكليف باتفاق المسلمين ولو وصلوا من القرب إلى أعلى مقام يناله العبد ما داموا قادرين عليه [٢].

٣- أنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسالة محمد ﷺ عامة لجميع الناس وأنها باقية إلى يوم القيامة.قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...﴾[٣].

وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعته بل لو كان الأنبياء قبله أحياء لوجب عليهم متابعته. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

= ج١١، ص ٤٠٥، ٤٢٦، ٤٣٩. والصارم المسلول ص٥٢١. وشرح الطحاوية، ص٣٥٥ .

(١) مجموع الفتاوى، ج١٠، ص ٣٤٤، ٣٤٧ (بتصرف).

(٢) انظر:مدارج السالكين،ج٣، ص١١٨. ونواقض الإيمان الاعتقادية، ج٢، ص٧٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: (١٥٨).

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ...﴾[١].

وعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟... إلى أن قال: والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلّا أن يتبعني»[٢]. بل قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن المسيح عليه السلام إذا نزل من السماء فإنه يكون متبعاً لشريعة محمد ﷺ[٣]. فإذا كان ﷺ يجب اتباعه على من يدركه من الأنبياء فكيف بمن دونهم[٤]؟

٤- أنه مما علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز لمن بلغته دعوة محمد ﷺ أن يتبع شريعة رسول غيره كموسى وعيسى، فإذا لم يجز الخروج عن شريعته إلى شريعة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٨١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم ١٥١٥٦ والبغوي في شرح السنة برقم (١٢٦) وابن أبي عاصم في السنة برقم (٥٠) وقال الألباني (حديث حسن) انظر: ظلال الجنة ج١ ص٢٧. مجموع الفتاوى، ج١١، ص٤٢٢ ـ ٤٢٤ (بتصرف)

(٣) انظر: جامع الأصول حديث ٧٨٣١. وشرح الطحاوية، ص٥٧٧.

(٤) مجموع الفتاوى، ج١١، ص٤٢٢ ـ ٤٢٤ (بتصرف)

رسول آخر فكيف بالخروج عنه وعن الرسل.

٥- أن الأنبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع هذا أكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات وترك المنكرات إلى حين الوفاة [(١)] وإذا كانوا كذلك فغيرهم من باب أولى.

٦- أن حقيقة الولاية إنما تنال بتقوى الله سبحانه والتزام أوامره واجتناب نواهيه [(٢)] لا بترك الواجبات وفعل المحرمات. قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[(٣)]. وكلما كان العبد إلى الله أقرب كان جهاده في الله أعظم لا أن يخلع ربقة التكليف من عنقه. قال ابن القيم: «وتأمل أحوال رسول الله ﷺ وأصحابه. فإنهم كانوا كلما ترقوا من القرب في مقام عظم جهادهم واجتهادهم. لا كما ظنه

(١) تفسير ابن كثير، ج٢،ص ٥٦٠. وانظر: مدارج السالكين، ج٣، ص ١١٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ج١٠ ص٣٥٣، ج١١ ص٤٢٠.

(٣) سورة يونس، الآيتان: (٦٢ ـ ٦٣).

بعض الملاحدة المنتسبين إلى الطريق))[١].

٧- إجماع الأئمة على كفر من قال بهذا المعتقد. وقد حكى هذا الإجماع جمع من العلماء. يقول القاضي عياض: ((وكذلك أُجمع على تكفير من قال من الخوارج إن الصلاة طرفي النهار... وقول بعض الصوفية: إن العبادة، وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم))[٢].

وقال ابن تيمية عندما سئل عمن يقول ـ: ... وإن العبد يعمل حتى تحصل له المعرفة فإذا حصلت زال عنه التكليف ـ قال: ((ومن قال هذا فإنه كافر مرتد باتفاق أئمة الإسلام فإنهم متفقون على أن الأمر والنهي جارٍ على كل بالغ عاقل إلى أن يموت...))[٣].

وقال أيضاً: ((وليس لأحد ممن أدركه الإسلام: أن يقول لمحمد ﷺ إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، ومن سوغ هذا أو اعتقد أن أحداً من الخلق الزهاد والعباد أو غيرهم له الخروج عن دعوة محمد ﷺ ومتابعته، فهو كافر باتفاق المسلمين. ودلائل هذا

---

(١) مدارج السالكين، ج٣، ص١١٨.

(٢) الشفا، ج٢، ص٦١٢ ـ ٦١٣.

(٣) مجموع الفتاوى، ج١١، ص٥٣٩. وانظر: ص٤٠٥، ٤١٩ ـ ٤٢٠ من نفس الجزء.

من الكتاب والسنة أكثر من أن تذكر هنا»[١].

وقال العلامة برهان الدين البقاعي: «ومن يعتقد أن لأحد من الخلق طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان بالإجماع»[٢].

التاسع: الخروج عن شريعة الله باعتقاد أن حكم غير الله أفضل من حكمه

المراد به: هو الاعتقاد بأن تحكيم غير الشريعة الإسلامية أفضل منها.

حكمه: اعتقاد أن حكم غير الله أفضل من حكمه كفر أكبر. يقول ابن كثير: «فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحاكم إلى الياسق[٣] وقدمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر

---

(١) مجموع الفتاوى، ج١١، ص٤٢٦.

(٢) مصرع التصوف، ص٢١.

(٣) هو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبس من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيه كثير من الأحكام التي أخذت من مجرد نظر واضعه وهواه، وضعه الملك جنكيز خان ملك التتار. فصار في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. انظر: تفسير ابن كثير، ج٢، ص٦٧.

بإجماع المسلمين))[١].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ((من اعتقد أن غير هدى النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه... فهو كافر))[٢] [٣].

الأدلة: كثيرة منها ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٤].

يقول ابن كثير: ((يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً))[٥].

وقال الرازي: ((وهذا نص في تكفير من لم يرض بحكم الرسول

---

(١) البداية والنهاية، ج١٣، ص١١٩. وانظر: تفسير ابن كثير، ج٢، ص٦٧ .

(٢) مجموعة التوحيد ص ٣٨ .

(٣) وللاستزادة انظر: شرح الطحاوية، ص٣٦٣ ـ ٣٦٤. وروح المعاني، ج٢٨ ص٢٠ (الحاشية) ومجموع فتاوى ومقالات للشيخ ابن باز، ج٨، ص٢٧٣.

(٤) سورة النساء، الآية: (٦٥).

(٥) تفسير ابن كثير، ج١، ص ٥٢٠.

عليه الصلاة والسلام))[١].

٢- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ...﴾[٢].

يقول ابن كثير ـ في تفسير الآية ـ: ((... فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر))[٣].

٣- وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾[٤] يقول محمد رشيد رضا ـ في تفسيره ـ ((صرح في هذه الآية بما دلت عليه التي قبلها من نفاق هؤلاء الذين يرغبون عن حكم كتاب الله وحكم رسوله إلى حكم الطاغوت...إلى أن قال:والآية ناطقة بأن من صد وأعرض عن حكم الله ورسوله عمداً ولاسيما بعد دعوته إليه وتذكيره به فإنه

---

(١) تفسير الرازي، ج١٠، ص١٦٠. وانظر: أضواء البيان، ج١، ص٣٣٤.

(٢) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٣) تفسير ابن كثير، ج١، ص ٥١٨. وانظر أضواء البيان، ج١، ص٣٣٣.

(٤) سورة النساء، الآية: (٦١).

يكون منافقاً لا يُعتد بما يزعمه من الإيمان وما يدعيه من الإسلام»[١]. وبذلك يتضح أن تفضيل حكم غير الله عليه من النفاق الأكبر.

العاشر: الكفر بتعلم السحر الموجب للكفر والعمل به:

تعريف السحر:

لغة: هو كل ما لطف مأخذه ودق.

ويأتي: ويراد به: البيان في فطنة كما جاء في الحديث أنه ﷺ قال: «إن من البيان لسحرا»[٢]. ويأتي ويراد به الخديعة. يقال سحره بالطعام والشراب أي خدعه.

السحر في الاصطلاح: عرف بتعاريف كثيرة متباينة؛ وذلك لكثرة الأنواع[٣] الداخلة تحته التي لا يتحقق قدر مشترك بينها، ولاختلاف

---

(١) تفسير المنار ج٥ ص٢٢٧. وانظر: فتح القدير ج١ ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣. وأضواء البيان ج٧ ص١٦٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب النكاح باب الخطبة. ومسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة .

(٣) منها ما هو سحر في الشرع مثل سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية، والسحر الذي يستعان فيه بالكواكب والسحر الذي يستعان فيه بالأرواح الأرضية والعقد والنفث فيه، والهيمياء، والسيمياء.

المذاهب فيه بين الحقيقة والتخييل [١].

ومن ذلك ما قاله ابن قدامة ـ حيث قال ـ: «السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه»[٢]. وهذا يصدق على ما له حقيقة وأثر من أنواع السحر.

ومن ذلك أيضاً ما قاله أبو بكر الرازي ـ حيث قال ـ هو كل أمر خفي سببه وتُخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع»[٣]. وهذا يصدق على ما لا حقيقة له من أنواع السحر أو ما هو سحر في اللغة.

= ومنها ما هو سحر في اللغة (وهو السحر المجازي) مثل الأخذ بالأبصار والشعبذة، والاستعانة بخواص الأدوية،والسعي بالنميمة وإغراء بعض الناس ببعض من وجوه لطيفة خفية وتعليق القلب. انظر: التفسير الكبير، ج٣، ص٢٠٨ ـ ٢١٣ والفروق للقرافي، ج٤، ص١٣٧ ـ ١٤٩. وأضواء البيان، ج٤ ص٤٤٤ ـ ٤٥٣.

(١) فقد اختلف في ذلك على أقوال أظهرها: أن السحر المذموم صاحبه ليس كله حقيقة وليس كله تخييلا. بل منه ما هو حقيقة كما دلت عليه أدلة أهل السنة، ومنه ما هو تخييل كما دلت عليه الآيات التي استدل بها المخالفون وبذلك يتضح عدم التعارض بين الأدلة النقلية. وعلى هذا جماهير العلماء من المسلمين. انظر: أضواء البيان، ج٤، ص٤٣٧ ـ ٤٣٨، ص٤٥٥. وتيسير العزيز الحميد، ص٣٣٤ .

(٢) الكافي لابن قدامه، ج٤، ص١٦٤ .

(٣) أحكام القرآن للجصاص، ج١، ص٤٢.

ونستخلص من هذين التعريفين وغيرهما تعريفاً لعله يكون جامعاً ـ إن شاء الله ـ فنقول: السحر: هو كل ما فيه مخادعة أو تأثير في عالم العناصر نتيجة الاستعانة بغير الله من شيطان أو نحوه، يشبه الخارق للعادة وليس فيه تحد يمكن اكتسابه بالتعلم.

حكم تعلم السحر وتعليمه والعمل به :

أولاً : حكم تعلم السحر وتعليمه :

اختلف في ذلك على أقوال. الصحيح منها: أن تعلم السحر وتعليمه حرام للأدلة الدالة من الكتاب والسنة ـ كما سيأتي بيانه ـ.

قال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ «... فإن تعلّم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم»[1].

لكن ما هي درجة هذا التحريم؟

إن قصد من تعلمه العمل به وكان فيه قول أو اعتقاد أو فعل يقتضي الكفر مثل السحر الذي لا يتأتى إلا عن طريق الشياطين ونحوهم ـ كأن يستغيث بهم ويدعوهم فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى. أو ينطق بكلمة الكفر من أجل رضاهم، أو يعتقد نفعهم وضرهم بغير إذن الله تعالى، أو يتقرب لهم بذبح أو نحوه، أو يهين

---

(١) المغنى لابن قدامه، ج٨، ص١٥١ .

ما أوجب الله تعظيمه من الكتاب العزيز أو غيره، أو يدعي لنفسه أو لشياطينه علم الغيب ومشاركة الله في ذلك. أو تعلمه معتقداً إباحته فهو كفر.وإلا فهو فسق [١].

قال الإمام الشافعي: «إذا تعلم السحر قيل له صف لنا سحرك ؟ فإن وصف ما يستوجب الكفر... فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر وإلا فلا» [٢].

وقال النووي: «وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر وإلا فلا» [٣].

وقال أبو حيان: «وأما حكم السحر فما كان منه يعظم به غير الله من الكواكب والشياطين وإضافة ما يحدثه الله إليها فهو كفر إجماعاً لا يحل تعلمه ولا العمل به، وكذا ما قصد بتعلمه سفك الدماء والتفريق بين الزوجين والأصدقاء. وأما إذا كان لا يعلم منه شيئاً من

---

(١) انظر: الفروق للقرافي، ج٢ ص١٤٠. وتفسير ابن كثير، ج١ ص١٤٧. وشرح صحيح مسلم، ج١٤، ص١٧٦، وأضواء البيان، ج٤، ص٤٥٥ ـ ٤٥٦. ونواقض الإيمان القولية والعملية ص٥٠٨ .

(٢) أضواء البيان،ج٤، ص٤٥٥ .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي، ج١٤، ص١٧٦ .

ذلك بل يحتمل فالظاهر أنه لا يحل تعلمه والعمل به...))[١].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: ((وقد نص أحمد على أنه يكفر بتعلمه وتعليمه))[٢].

الأدلة: ومنها ما يلي: **الأول**: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ...﴾[٣].

قال ابن حجر: ((فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر))[٤].

وقال الشنقيطي: ((وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ صريح في كفر معلم السحر))[٥].

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ...﴾[٦].

---

(١) روائع البيان، ج١، ص٨٤ .

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص٣٣٥ .

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٠٢).

(٤) فتح الباري، ج١٠، ص٢٢٥.

(٥) أضواء البيان، ج٤، ص٤٤٢ .

(٦) سورة البقرة، الآية: (١٠٢).

قال ابن حجر: «الآية فيها إشارة إلى أن تعلم السحر كفر»[١].

الثالث: قوله تعالى: ﴿... وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ...﴾[٢].

قال مجاهد والسدي: «من نصيب»[٣].

وقال ابن عباس: ((«ما له في الآخرة» في الجنة «من خلاق» نصيب) [٤]. ونفي النصيب في الآخرة بالكلية لا يكون إلا للكافر عياذاً بالله تعالى[٥][٦].

ثانياً: حكم العمل بالسحر:

محرم بالكتاب والسنة بلا خلاف بين أهل العلم، ولكن ما هي درجة هذا التحريم ؟ إن كان فيه اعتقاد أو قول أو فعل يقتضي الكفر مثل: اعتقاد أن الكواكب السبعة أو غيرها مدبرة مع الله. أو أن الساحر قادر على خلق الأجسام، أو اعتقد أن فعله مباح، أو تضمن

---

(١) فتح الباري، ج١٠، ص٢٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٠٢).

(٣) تفسير ابن كثير ، ج١، ص١٤٣ .

(٤) تفسير ابن عباس (الدر المنثور)، ج١، ص٤٦ .

(٥) أضواء البيان، ج٤،ص ٤٤٢. وانظر: تفسير الطبري، ج١، ص٣٧١ .

(٦) وانظر: مصنف عبد الرازق، حديث، ١٨٧٥٣.

تقرباً إلى الشياطين فهو كفر، أما إذا لم يكن فيه شيء من ذلك، وهو ما يسمى بالسحر المجازي مثل السحر بالأدوية والتدخين وسقيا شيء يضر، أو بالحركات الخفية، ونحو ذلك فليس بكفر وإنما هو فسق[١].

يقول النووي: «... فعمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع ... ومختصر ذلك أنه قد يكون كفراً، وقد لا يكون كفراً بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر، وإلا فلا»[٢].

ويقول ابن قدامه: «والساحر الذي يركب المكنسة، وتسير به في الهواء ونحوه يكفر ويقتل، فأما السحر بالأدوية والتدخين وسُقيا شيء يضر فلا يكفر»[٣].

الأدلة: كثيرة منها ما يلي:

١- ما سبق ذكره آنفاً من الأدلة الدالة على تحريم تعلم السحر وتعليمه؛ ذلك أن كل دليل يدل على تحريم تعلم السحر فدلالته على تحريم العمل به أولى.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج١، ص١٤٧. وتفسير الرازي، ج٣ ص٢١٤ ـ ٢١٥ وشرح النووي على صحيح مسلم ج١٤ ص١٧٦. والمقنع لابن قدامه ج٣ ص٥٢٣ ـ ٥٢٤. والتنقيح المشبع ص٣٨٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٤، ص١٧٦ .

(٣) المقنع ج٣، ص٥٢٣ ـ ٥٢٤.

٢- ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿... وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[١].

وجه الدلالة: أن الله سبحانه وتعالى نفى الفلاح عن الساحر نفياً عاماً حيث توجه وسلك، وذلك دليل على كفره؛ لأن الفلاح لا يُنفى بالكلية نفياً عاماً إلا عمن لا خير فيه وهو الكافر [٢].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

يقول ابن كثير: «وقد استدل بقوله «ولو أنهم آمنوا واتقوا» من ذهب إلى تكفير الساحر كما هو رواية عن الإمام أحمد وطائفة من السلف»[٤]. وقال الشيخ حافظ: «... وهذا من أصرح الأدلة على كفر الساحر ونفي الإيمان عنه بالكلية فإنه لايقال للمؤمن...ولو أنه آمن...وإنما قال تعالى: ذلك لمن كفر... وعمل بالسحر...»[٥].

٤- قوله ﷺ: «من أتى عرافاً أ وساحراً أو كاهناً فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[٦]. في الحديث

(١) سورة طه، الآية: (٦٩).

(٢) انظر: أضواء البيان، ج٤، ص٤٤٢ ـ ٤٤٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٠٣).

(٤) تفسير ابن كثير، ج١، ص ١٤٤.

(٥) معارج القبول، ج٢ ص ٥٥٤. وانظر: أحكام القرآن للجصاص ج١ ص ٥٣، ٥٨.

(٦) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا =

ـ كما نرى ـ تحذير من إتيان العرافين أو السحرة أو الكهنة وتصديقهم. مشيراً إلى أن تصديقهم كفر بما أنزل على محمد ﷺ، وإذا كان هذا حال الآتي فكيف حال المأتي. والكفر ـ هنا ـ ظاهره الكفر الأكبر، وقيل الكفر الأصغر، وقيل من اعتقد أن العراف أو الساحر أو الكاهن يعرفان الغيب ويطلعان على الأسرار الإلهية كان كافراً كفراً أكبر كمن اعتقد تأثير الكواكب وإلا فلا [١].

هذا شيء من الأدلة من الكتاب والسنة كلها صريحة بتحريم السحر وعده إما كفراً أو معصية كبيرة، مما يدل على أن السحر قد يكون كفراً وذلك إذا كان فيه ما يقتضي الكفر، ويكون فسقاً إذا لم يكن فيه شيء من ذلك، وهو السحر المجازي.

الحادي عشر: مظاهرة الكفار على المسلمين:

تعريفه: المظاهرة: المعاونة. وظاهر: نصر وأعان. والظهير: المعين. ومنه قوله تعالى: ﴿... وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [٢] [٣].

= هبيرة بن مريم وهو ثقة. انظر: مجمع الزوائد، ج٥، ص١٢١.

(١) نيل الأوطار، ج٧، ص٣٦٨ (بتصرف).

(٢) سورة التحريم، الآية: (٤).

(٣) انظر: لسان العرب، ج٢، ص٦٥٧-٦٥٨. والمصباح المنير، ص١٤٧ .

والمراد بمظاهرة الكفار: هو إعانتهم ومناصرتهم بسبب قد يؤدي إلى انتصارهم وعلو شأنهم على المسلمين.

أمثلته:

١- الإعانة لهم على المسلمين بالنفس أو المال أو السلاح.

٢- الدفاع عنهم أو عن مبادئهم باللسان أو القلم.

٣- التجسس على المسلمين بدافع الرغبة في تيسير انتصار الكفار على المسلمين [١].

حكمه: كفر أكبر، إذا كان بعد المعرفة من مختار غير مختل العقل ولا مكره، ولا متأول[٢][٣].

يقول ابن حزم: «... فصح بهذا أن من لحق بدار الكفر والحرب مختاراً محارباً لمن يليه من المسلمين فهو بهذا الفعل مرتد له أحكام

---

(١) انظر: تفسير الطبري، ج٣، ص١٥٢. وتفسير البغوي، ج١، ص٣٣٦. وتفسير ابن سعدي، ج٢ ص١٤٦. والدرر السنية، ج٧ ص٧٩ ـ ٨٠. والولاء والبراء للقحطاني ، ص٣٠١. والولاء والبراء للفوازن، ص٦.

(٢) كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة.انظر:تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٤٦، وتفسير ابن سعدي ج٨ ص١٠٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري، ج٣، ص١٥٢. ومجموع الفتاوى، ج٢٨، ص١٩٢،١٩٣، ٥٣٤. وأضواء البيان، ج٢ص١١١. والإقناع، ج٤ ص٢٨٧. ومجموع الرسائل والمسائل النجدية، ج٤،ص٢٨٩ ـ ٢٩١. ونواقض الإيمان القولية، ص٣٨٨.

المرتد كلها... وأما من فر إلى أرض الحرب لظلم خافه ولم يحارب المسلمين ولا أعانهم عليهم ولم يجد في المسلمين من يجيره فهذا لا شيء عليه لأنه مضطر مكره»[١]. وقال أيضاً: «... فإن كان هناك محارباً للمسلمين معيناً للكفار... فهو كافر»[٢].وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ وهو يتكلم عن نواقض الإسلام ـ: «الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين...»[٣].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «وأكبر ذنب... وأعظمه منافاة لأصل الإسلام نصرة أعداء الله ومعاونتهم والسعي فيما يظهر به دينهم...»[٤].

وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية: «موالاة الكفار التي يكفر بها من والاهم هي محبتهم ونصرتهم على المسلمين...»[٥].

الأدلة: كثيرة منها ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن

---

(١) المحلى، ج١١، ص١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٢) المحلى، ج١١، ص٢٠٠.

(٣) مجموعة التوحيد، ص٣٩.

(٤) مجموع الرسائل النجدية، ج٣، ص٥٧. وانظر: الدرر السنية ج ٧ ص ٢٠١.

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة، ج٢،ص٤٧.

﴿... يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ...﴾[1].

يقول الطبري: «ومعنى ذلك لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك «فليس من الله في شيء» يعني بذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر»[2].

ويقول ابن سعدي وقوله: («إلا أن تتقوا منهم تقاة» أي إلا أن تخافوا على أنفسكم في إبداء العداوة للكافرين فلكم في هذه الحال الرخصة في المسالمة... لا في التولي الذي هو محبة القلب الذي تتبعه النصرة)[3].

٢- وقال تعالى: ﴿... وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

يقول الطبري ـ في تفسير هذه الآية ـ: «فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم...»[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٢٨).

(٢) تفسير الطبري، ج٣، ص١٥٢. وانظر: تفسير ابن كثير، ج١، ص٣٥٧.

(٣) تفسير ابن سعدي، ج١، ص١٧٨ .

(٤) سورة المائدة، الآية: (٥١).

(٥) تفسير الطبري، ج٦، ص١٧٩ .

ويقول القرطبي: (قوله تعالى «ومن يتولهم منكم» أي يعضدهم على المسلمين «فإنه منهم» بيّن تعالى أن حكمه كحكمهم...)[(١)].

ويقول ابن القيم ـ بعد أن ذكر هذه الآية ـ: «فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم»[(٢)]. ولا يكون كذلك إلا خارج من الملة مثلهم.

٣- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ...﴾[(٣)].

في الآية إخبار عن المنافقين الذين أطمعوا إخوانهم ـ في الكفر ـ من أهل الكتاب في نصرتهم وموالاتهم على المؤمنين، وفي ذلك دلالة على أن مظاهرة الكافرين على المؤمنين من النفاق الأكبر[(٤)].

٤- إجماع العلماء على كفر من ظاهر الكفار على المسلمين.

يقول ابن حزم: «وصح أن قوله تعالى: ﴿... وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٢١٧ .

(٢) أحكام أهل الذمة لابن القيم، ج١، ص٦٧.

(٣) سورة الحشر، الآية: (١١).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير،ج٤، ص٢٠٤. وتفسير النسفي ج٣ ص٥٠٤. وتفسير ابن سعدي ج٨ ص١٠٤. وحكم موالاة أهل الكفر (الجامع الفريد) ص٣٧٩ .

مِنْهُمْ...﴾[١]. إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار فقط وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين»[٢].

وقال ابن سحمان: «... الذي أجمع عليه العلماء هو ما ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب من نواقض الإسلام وأنها عشرة... الثامن:مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين...»[٣].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: «وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة فهو كافر مثلهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[٤][٥].

المبحث الثالث: النفاق الأكبر:

تعريفه: في اللغة: النفاق اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ـ وهو ستر الكفر وإظهار الإيمان ـ وإن كان أصله في اللغة معروفاً يقال نافق اليربوع نفاقاً ومنافقة دخل في نافقائه. ومنه

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٥١).

(٢) المحلى، ج١١، ص١٣٨.

(٣) الدرر السنية، ج٢ ص ٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٤) سورة المائدة، الآية: (٥١).

(٥) مجموع فتاوى ابن باز، ج١، ص٢٧٤.

اشتقاق النفاق؛ لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر [(١)].

يقول ابن منظور: «... وهو مأخوذ من النافقاء لا من النفق»[(٢)].

النفاق في الاصطلاح: هو إظهار الخير وإسرار الشر [(٣)].

أقسامه: اختلفت عبارات الأئمة في تقسيمه. فبعضهم قال: نفاق اعتقاد ونفاق عمل كالإمام الترمذي [(٤)]. وابن كثير [(٥)]. وابن حجر[(٦)].

وبعضهم قال: نفاق أكبر ونفاق أصغر كالإمام ابن تيمية[(٧)]. وابن القيم [(٨)]. وابن رجب [(٩)].

ولعل هذا هو الأولى لسببين الأول: أن النفاق الأكبر لا يختص بالجانب الاعتقادي فقط، بدليل أن الله ذكر من صفات المنافقين

---

(١) انظر: لسان العرب، ج٣، ص٦٩٤، ومعجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٤٥٥، والمنافقون في القرآن ص١٣.

(٢) لسان العرب، ج٣، ص٦٩٤.

(٣) تفسير ابن كثير،ج١، ص٤٧. وانظر: تفسير ابن سعدي، ج١، ص٢٠.

(٤) انظر: سنن الترمذي، ج٤، ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ج١، ص٤٧.

(٦) انظر: فتح الباري،ج١، ص٨٩.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى، ج٢٨، ص٤٣٤ ـ ٤٣٥ .

(٨) انظر: مدارج السالكين، ج١، ص٣٤٧.

(٩) انظر: جامع العلوم والحكم، ص٣٧٥.

السخرية بالله ورسوله والمؤمنين، والمناصرة للكفار، ونحو ذلك ـ وهي أمور عملية ـ وإن اقترنت بفساد الاعتقاد في الغالب إلا أن ذلك ليس بلازم.

الثاني: ليس كل نفاق اعتقادي يخرج من الملة مثل يسير الرياء ونحوه [١].

النفاق الأكبر ـ وهو المراد هنا ـ هو أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر [٢].

قال ابن رجب: «والنفاق الأكبر: هو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه» [٣].

وقال ابن القيم: «وأما كفر النفاق: فهو أن يظهر بلسانه الإيمان وينطوي بقلبه على التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر» [٤].

أنواعه: ومنها ما يلي:

---

(١) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية، ص١٥٣.

(٢) التعريفات الاعتقادية، ص ٣١٩. وانظر: مجموع الفتاوى، ج٧، ص٤٧١. وشرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج١، ص١٦٢، ١٦٩.

(٣) جامع العلوم والحكم، ص٣٧٥.

(٤) مدارج السالكين، ج١، ص٣٣٨.

١- تكذيب الرسول ﷺ أو تكذيب بعض ما جاء به.

٢- بغض الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به [١].

٣- عدم اعتقاد وجوب اتباع الرسول ﷺ ـ كأن لا يعتقد وجوب تصديقه فيما أخبر ولا وجوب طاعته فيما أمر[٢].

٤- المسرة بانخفاض الدين الإسلامي والمساءة بظهوره[٣].

ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله.

إذا وقع الموحد في شيء منها أصبح منافقاً نفاقاً أكبر[٤].

حكمه: النفاق الأكبر كفر مخرج من الملة ـ وبذلك ينقض قول لا إله إلا الله ـ وفي الآخرة: صاحبه في الدرك الأسفل من النار [٥].

قال شيخ الإسلام: «فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار»[٦].

---

(١) ومن آثاره عيبهم للرسول ﷺ واستهزاؤهم بالمؤمنين لالتزامهم بما جاء به الرسول ﷺ انظر: تفسير ابن كثير، ج٣، ص٣٦٦ ـ ٣٦٧، والصارم المسلول، ٣١ ـ ٣٣ .

(٢) ومن آثاره إعراضهم عن حكم الله ورسوله. انظر: الصارم المسلول ص ٣٧.

(٣) ومن آثاره مظاهرتهم للكفار على المسلمين. انظر: تفسير ابن كثير، ج٤ ص٢٠٤.

(٤) مجموع الفتاوى، ج٧، ص٦٣٩، ج٢٨، ص٤٣٤. ومجموعة التوحيد، ص١٠، (بتصرف).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، ج٧،ص٦٢١، ٦٣٩. والصارم المسلول، ص٣٦. وشرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج١، ص١٦٢.

(٦) مجموع الفتاوى،ج٢٨،ص٤٣٤.

وقال ابن القيم: ـ وهو يتكلم عن مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم فيها ـ: «...الطبقة الخامسة عشرة» طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله. وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار»[١].

وقال ابن رجب ـ وهو يتكلم عن النفاق ـ: «... وفي الشرع ينقسم إلى قسمين: أحدهما: النفاق الأكبر.. وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار»[٢].

الأدلة: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد نطق القرآن بكفر المنافقين في غير موضع وجعلهم أسوأ حالاً من الكافرين وأنهم في الدرك الأسفل من النار»[٣].

ومما ورد في ذمهم وتكفيرهم وأن مصيرهم النار يوم القيامة قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

وقوله تعالى فيهم: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ

---

(١) طريق الهجرتين، ص ٦٩٨.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ٣٧٥.

(٣) الصارم المسلول، ص ٣٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨.

كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ...﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا...﴾[4]. وغيرها من الآيات كثير.

الخاتمة:

بسم الله بدأنا وبحمده والشكر له ختمنا ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... أما بعد: فإنه من خلال هذا البحث المتواضع توصلت إلى نتائج هامة منها ما يلي:

الأولى: أن نواقض كلمة التوحيد هي: اعتقادات أو أقوال أو أعمال تناقض حقيقة التوحيد وتوجب الخروج من الملة.

---

(١) سورة التوبة، الآية: (٥٤).

(٢) سورة التوبة، الآيتان: (٧٣ ـ ٧٤).

(٣) سورة النساء، الآية: (١٤٥).

(٤) سورة التوبة، الآية: (٦٨).

الثانية : أن هذه النواقض كثيرة، تجتمع في أمر واحد ـ وهو ما يخرج من الملة ـ وبما أنه لا يخرج من الملة إلا الشرك الأكبر أو الكفر الأكبر أو النفاق الأكبر، لذا فهي لا تخرج عن هذه الثلاثة.

الثالثة: أن المسلم إذا وقع في شيء من هذه النواقض قصداً من غير جهل أو إكراه أو تأويل يعذر فيه صاحبه انتقضت لديه شهادة التوحيد، وإن كانت موجودة مع العبد ابتداءً ثم أظهر الإسلام وهي معه لم ينتفع من نطقه بالشهادتين ما دام معه شيء منها.

الرابعة: أن الشرك في اللغة ـ الخلط والضم ـ وفي الاصطلاح: كل ما ناقض التوحيد أو قدح فيه مما ورد في الكتاب أوالسنة تسميته شركاً، وأنه نوعان أكبر وأصغر. وأن الأكبر: هو أن يُجعل لله ند في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.

الخامسة: أن الشرك الأكبر مخرج من الملة، محبط لجميع الأعمال، لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، ومن مات عليه فهو مخلد في النار. وبذلك كان من نواقض قول لا إله إلا الله.

السادسة: أن الشرك الأكبر ثلاثة أنواع:

الأول: الشرك في الربوبية، كشرك من جعل مع الله رباً آخر، وشرك من قال بالقدر،وشرك غلاة الصوفية، وشرك من جعل لله نداً في التشريع.

الثاني: الشرك في الأسماء والصفات: ومن ذلك التشبه بالله أو تشبيه المخلوق به في الاسم أو الصفة التي لا تنبغي إلا لله وحده.

الثالث: الشرك في الألوهية: وهو أن يُجعل لله شريك في العبادة أو في نوع منها بالاعتقاد أو القول أو العمل، ومن ذلك الشرك في دعاء العبادة، والشرك في دعاء المسألة والشرك في الطاعة، والشرك في المحبة.

السابعة: أن الكفر في أصل اللغة الستر والتغطية. وفي الاصطلاح: كل ما يناقض الإيمان أو ينقص كماله الواجب مما ورد في الكتاب أو السنة تسميته كفراً، وأنه نوعان: أكبر وأصغر.

وأن الأكبر: هو كل ما ينافي الشهادتين أو إحداهما من اعتقاد أو قول أو عمل ويوجب لصاحبه الخروج من الملة والخلود في النار.

الثامنة: أن الكفر الأكبر: مخرج من الملة، وفي الآخرة مخلّد في النار. لذا كان من نواقض قول لا إله إلا الله.

التاسعة: أن الكفر الأكبر أنواع، منها:

١- كفر التكذيب، وهو الإنكار بالقلب واللسان لأصل من أصول الدين أو حكم أو خبر ثابت مما هو معلوم من الدين بالضرورة بعد المعرفة.

٢- كفر الجحود وهو الإنكار باللسان مع المعرفة بالقلب لأصل من أصول الدين، أو حكم أو خبر ثابت مما هو معلوم من الدين بالضرورة قصداً من غير جهل أو إكراه أو تأويل يعذر فيه صاحبه.

٣- كفر الإباء والاستكبار وهو الامتناع عن الانقياد لأمر الله أو أمر رسوله، إباءً واستكباراً مع معرفة أنه حق.

٤- كفر الإعراض وهو الإعراض التام عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها إعراضاً يخل بأصل الإيمان.

٥- كفر الشك: وهو التردد بين الإيمان وعدمه في شيء من أصول الدين، أو بين التصديق وعدمه بخبر أو حكم ثابت مما هو معلوم من الدين بالضرورة.

٦- كفر الاستهزاء بشيء من دين الله.

٧- كفر البغض لشيء من دين الله: وهو ما تضمن الكراهية لأمر الله أو أمر رسوله لاعتقاد أنه خلاف الحق والصواب واستلزم الاعتراض على الحكم وتسخطه.

٨- كفر الخروج عن شريعة رسول الله: وهو اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ.

٩- الخروج عن شريعة الله باعتقاد أن حكم غير الله أفضل

من حكمه.

١٠- الكفر بتعلم السحر الموجب للكفر والعمل به.

١١- مظاهرة الكفار على المسلمين.

العاشرة: أن النفاق في اللغة مأخوذ من نافقاء اليربوع، وفي الاصطلاح: إظهار الخير وإسرار الشر، وأنه قسمان على قولين أظهرهما أنه نفاق أكبر ونفاق أصغر.

الحادي عشر: أن النفاق الأكبر، هو أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر،وأنه أنواع منها:

١- تكذيب الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به.

٢- بغض الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به.

٣- عدم اعتقاد وجوب اتباع الرسول ﷺ.

٤- المسرة بانخفاض الدين الإسلامي والمساءة بظهوره. إذا وقع الموحد في شيء منها أصبح منافقاً نفاقاً أكبر .

الثاني عشر: أن النفاق الأكبر مخرج من الملة ـ وبذلك ينقض قول لا إله إلا الله ـ وصاحبه في الآخرة في الدرك الأسفل من النار.

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم